جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة الإسلامية بالمنوفية

الدَّعوة إلى اللّه تعالى بالمنهج الحسِّي

في

سورة نوح

إعداد الدكتور

هاشم محمد هاشم عبدالحميد

قسم الدعوة والثقافة الإسلامية - كلية أصول الدين
بأسيوط - جامعة الأزهر - مصر

الدَّعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسِّي في سورة نوح

هاشم محمد هاشم عبدالحميد
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية - كلية أصول الدين بأسيوط - جامعة الأزهر - مصر.
البريد الإلكتروني: HashemAbdelhamed48@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلي بيان كيفية الدَّعوة إلي الله تعالى بالمنهج الحسِّي في سورة نوح؛ وذلك من خلال بيان المنهجيَّة الدَّعوية لنبي الله نوح (عليه السلام) مع قومه وهو يبلِّغ رسالة ربه، ثمَّ بيان الأثر الدَّعوي لهذه المنهجيَّة الدَّعوية وذلك فيما يتعلَّق بالدَّاعية وموضوع الدَّعوة والمدعوِّين.

استخدمت في هذا البحث المنهج التحليلي الاستنباطي في بيان كيفية الدَّعوة إلي الله تعالى بالمنهج الحسِّي في سورة نوح، وتوصَّلت من خلال البحث إلي عدد من النتائج أهمُّها أنَّ الله تعالي جعل أنبياءه ورسله (عليهم السلام) أسوة في كل شيء ومن ذلك الأسوة المنهجيَّة في دعوة نبيِّ الله نوح (عليه السلام) للدَّعاة إلي الله تعالي اليوم، وأنَّ تمكّن الدَّاعية من إجادة المنهج الحسِّي يمكِّنه من معايشة واقع المدعوين المعاصر والدَّعوة في مجال العلوم الطبيعية العملية والتصدي لظاهرة الإلحاد في العصر الحاضر، وأنَّ حسن عرض موضوع الدعوة بالمنهج الحسِّي يؤدي إلي نشر رسالة الإسلام بين أقطار العالم وإبراز الوجهة الحقيقية للإسلام.

وقد جاء هذا البحث في مقدِّمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة اشتملت المقدِّمة علي بيان منهج البحث وأهمِّيته والدراسات السابقة، واشتمل التمهيد علي تحرير مفردات عنوان البحث، و اشتمل المبحث الأول علي إجادة الدَّاعية للمنهج الحسِّي في دعوته، والمبحث الثاني عرض موضوع الدَّعوة بالمنهج الحسِّي، والمبحث الثالث موقف المدعوِّين من الدَّعوة في سورة نوح، والخاتمة وبها أهمّ النَّتائج والتوصيات.

الكلمات المفتاحية: الدَّعوة – منهج – حسِّي – سورة – نوح.

The call to God Almighty with the sensual approach in Surat Noah

Hashem Muhammad Hashem Abdul Hamid

Department of Islamic Call and Culture - Faculty of Fundamentals of Religion – Assiut - Al-Azhar University - Egypt.

E mail: HashemAbdelhamed48@azhar.edu.eg

Abstract:

This research aims to explain how to call to God Almighty according to the sensual approach in Surat Noah, peace be upon him. And that is by explaining the advocacy methodology of the prophet of God, Noah, peace be upon him, with his people as he communicates the message of his Lord, and then explaining the advocacy effect of this advocacy methodology with regard to the preacher and the subject of the invitation and those invited.

I used in this research the deductive analytical method in explaining how to call to God Almighty through the sensual method in Surat Noah, and through the research I reached a number of results, the most important of which is that God Almighty made his prophets and messengers, peace be upon them, an example in everything, including the methodological example in calling the Prophet of God Noah Peace be upon him for the preachers to God Almighty today, and that enabling the preacher to master the sensual approach enables him to live with the contemporary reality of the summons, advocate in the field of practical natural sciences and confront the phenomenon of atheism in the present age, and that the good presentation of the da'wah issue with the sensory approach leads to spreading the message of Islam among the countries of the world and highlighting The true destination of Islam.

This research came in an introduction, an introduction, three topics and a conclusion. The introduction included a statement of the research method and its importance and previous studies, and the preface included editing the vocabulary of the title of the research, and the first topic included the proficiency of the preacher of the sensory approach in his call, and the second study presented the topic of advocacy with the sensory approach, and the third topic The position of the invitees on the invitation in Surat Noah, and the conclusion, with the most important findings and recommendations.

Keywords: Dawa - Method - Sensual - Surah – Noah.

المقدمة

الحمد لله تعالى رب العالمين، سبحانه هو الأوَّل والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم، والصلاة والسلام علي المبعوث رحمة للعالمين سيّدنا محمد وعلي آله وصحبه وسلّم أجمعين.

أما بعد

فقد جعل الله تعالي القرآن الكريم مصدراً أصيلاً من مصادر الدَّعوة إليه سبحانه؛ فمنه يستمدُّ الدعاة إلي الله تعالي المنهج الدَّعوي الذي يبلِّغون من خلاله رسالة ربهم بالحكمة والبصيرة الدَّعوية؛ عملاً بقول الحق (ﷻ): **(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)**(١) فاشتمل القرآن الكريم علي دعوات الأنبياء والمرسلين (عليهم السلام) والتي حفظها ربنا سبحانه في كتابه الكريم؛ لتكون نبراساً للدعاة علي مرِّ الأجيال والعصور يستضيئون به في طريق الدعوة إلى الله تعالى، ولقد كان نبيُّ الله نوح (عليه السلام) واحداً من الدعاة والرسل الأوَّلين عرض القرآن الكريم قصَّته ودعوته مع قومه في غير موضع من آياته؛ وأفرد له سورة مستقلَّة ضمن سوره الكريمة سمِّيت باسم سورة نوح؛ فحكي القرآن الكريم عنه أنَّه مكث في قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً داعياً وناصحاً في قومه بعبادة الله وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه، وهو يسير وفق أسس منهجية علمية محكمة طول فترة رسالته دون يأس أو قنوط، فأردت من خلال هذا البحث أن ألقي الضوء علي دعوة نبي الله نوح (عليه السلام) بالمنهج الحسي في سورة نوح وكيفيَّة إجادته (عليه السلام) وعرضه للدعوة بالمنهج الحسي؛ خاصة أنَّ العصر الحديث هو

(١) سورة يوسف الآية (١٠٨).

عصر المنهج العلمي والذي يسمي بالمنهج التجريبي، وإذا كانت البشرية اليوم قد تقدَّمت بهذا المنهج وغيره فإنَّ نبيَّ الله نوح (عليه السلام) قد استعمل هذا المنهج وهو في مهد البشرية من قبل قرون كثيرة من الزمان، فعلي الدُّعاة إلى الله تعالى اليوم أن يستمدُّوا هذا المنهج العلمي من دعوة نبيِّ الله نوح (عليه السلام) وينطلقوا به في عصر العلوم التجريبية والطبيعية اليوم سعياً في تحقيق ما يرجون من أهداف وما ينشدون من آمال والله المستعان.

أولا: أسباب اختيار الموضوع:

١- القيمة الدَّعوية الهادفة في عرض دعوة نبيِّ الله نوح (عليه السلام) بالمنهج الحسِّي.

٢- الرغبة في الإفادة اليوم من منهج نبيِّ الله نوح في الدَّعوة إلى الله تعالي بالمنهج الحسِّي.

٣- تقديم عمل دعوي يقوم علي المنهج العلمي الحديث يكون مستمدَّاً من القرآن الكريم للدعاة إلى الله تعالى في العصر الحديث.

ثانيا: أهداف البحث:

١- بيان الأسس المنهجية في دعوة نبيِّ الله نوح (عليه السلام) بالمنهج الحسِّي من خلال سورة نوح.

٢- بيان الأثر الدَّعوي المستفاد من الدَّعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسِّي في سورة نوح.

ثالثا: منهج البحث:

اعتمدت في هذا البحث علي المنهج التحليلي الاستنباطي(١) في بيان الأسس المنهجيَّة في دعوة نبيِّ الله نوح (عليه السلام) بالمنهج الحسِّي من خلال سورة نوح.

---

(١) هو منهج يقوم علي ثلاثة أسس: التفسير أولاً ثم التحليل والنقد ثم الاستنباط وهو ما يعبر عنه بالتركيب، أنظر أبجديات البحث العلمي في العلوم الشرعية فريد الأنصاري صـ ٧، طبعة دار الفرقان، الدار البيضاء بالمغرب، الأولي ١٩٩٧م.

رابعا: الدراسات السابقة:

تبيَّن من خلال البحث أنَّ هناك دراسات علمية تناولت موضوع المنهج الحسِّي في الدَّعوة على النحو التالي:

١- المدخل إلي علم الدعوة دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها في ضوء النقل والعقل للدكتور/ محمد أبو الفتح البيانوني تناول في الفصل الثالث منها فقط الحديث عن المناهج الدعوية الثلاثة العاطفي والعقلي والحسِّي باختصار أما هذه الدراسة فقد بينت الأسس التفصيلية للدعوة بالمنهج الحسِّي في سورة نوح (عليه السلام).

٢- المنهج الحسِّي وتطبيقاته في الدعوة للدكتور/ محمد حسن رباح بخيت والدكتور/ يحي علي يحي الدجنى وهذه الدراسة عبارة عن بحث علمي منشور بالجامعة الإسلامية غزة فلسطين كلية أصول الدين في ثلاث وعشرين صفحة تناولت التعريف بالمنهج الحسِّي وأساليبه وخصائصه وتطبيقاته في الدعوة بشكل علمي أكاديمي؛ أما هذه الدراسة فقد تناولت الأسس المنهجية في دعوة نبيِّ الله نوح (عليه السلام) بالمنهج الحسِّي كما جاءت في القرآن الكريم من خلال سورة نوح.

٣- الدعوة إلى الله بالمنهج الحسِّي في السنة النبوية للباحث/ محمد بن عبدالله العمري وهذه الدراسة عبارة عن رسالة ماجستير بجامعة الأمام محمد بن سعود الإسلامية كلية الدعوة والإعلام بالرياض السعودية تناول فيها الباحث الحديث عن موضوعات الدعوة بالمنهج الحسِّي في السنَّة النبويَّة وأساليب الدَّعوة وأصناف المدعوِّين وخصائص الدَّعوة بالمنهج الحسِّي في السنَّة النبويَّة ومجالات استفادة الداعية من المنهج الحسِّي في السنَّة النبويَّة؛ أما هذه الدراسة فقد عنيت بالبحث عن دعوة نبي الله نوح (عليه السلام) بالمنهج الحسِّي كما جاءت في القرآن الكريم من خلال سورة نوح.

خامسا: خطة البحث:

اشتمل البحث علي مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

المقدمة: وفيها أسباب اختيار الموضوع والهدف من البحث ومنهج البحث والدراسات السابقة وخطة البحث.

التمهيد: ويشتمل على تحرير مفردات عنوان البحث وفيه مطالب:

- **المطلب الأول:** التعريف بالدعوة إلى الله تعالى.
- **المطلب الثاني:** التعريف بالمنهج الحسِّي.
- **المطلب الثالث:** التعريف بسورة نوح.

المبحث الأول: إجادة الدَّاعية إلي الله تعالي للمنهج الحسِّي في دعوته.

المبحث الثاني: عرض موضوع الدَّعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسِّي.

المبحث الثالث: موقف المدعوِّين من الدعوة في سورة نوح.

الخاتمة: وبها أهمّ النَّتائج والتوصيات.

التَّمهيد

المطلب الأول
التعريف بالدعوة إلى الله تعالى

أولا: التعريف اللغوي للدعوة:

من خلال النظر والبحث والرجوع إلي المعاجم اللغوية يتبيَّن أنَّ الدَّعوة في اللغة لها معاني متعددة ومفاهيم متنوعة؛ وهذا التعدد في المعاني والتنوع في المفاهيم يدلُّ علي شرف العلم المعرَّف الدَّعوة، وفيما يلي أتناول أهمّ هذه المعاني والمفاهيم اللُّغوية للدَّعوة:

١- **جاء في معجم مقاييس اللُّغة:** "أنَّ الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد ومعناه أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك، تقول دعوت أدعو دعاء أي قمت بمحاولة الإمالة".(١)

وهذا المعني اللُّغوي للدَّعوة يدلُّ علي الإمالة التي تصدر من الدَّاعي للشيء بالقول أو بالفعل أو ما إلي ذلك رغبة منه في إمالة شيء لشيء.

٢- **جاء في المصباح المنير:** "دعوت الله أدعو دعاء ابتهلت إليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير، ودعوت زيداً ناديته وطلبت إقباله، ودعا المؤذن الناس إلي الصلاة فهو داعي الله، والجمع دعاة وداعون، والنبيُّ (ﷺ) داع الخلق إلي التوحيد".(٢)

---

(١) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسين أحمد، بن فارس تحقيق: عبدالسلام محمد هارون جـ ٢ صـ ٢٧٩، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٢٩٩هـ ١٩٧٩م.

(٢) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، أحمد بن محمد الفيومي تحقيق: د. عبدالعظيم الشناوي صـ ١٩٤، طبعة دار المعارف الطبعة الثانية بدون.

وهذا المفهوم اللُّغوي يدلُّ على معاني متعددة للدَّعوة منها الابتهال والسؤال والرغبة والنداء والطلب؛ وفي هذا الشأن دعوة المؤذن الناس للصلاة ودعوة النبيّ (ﷺ) الخلق إلي توحيد الله تعالي.

٣- جاء في لسان العرب: "الدَّعوة المرة الواحدة من الدعاء، والدعاء واحد الأدعية، والدُّعاة قوم يدعون إلي بيعة هدي أو ضلالة واحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو الناس إلي بدعة أو دين أدخلت الهاء فيه للمبالغة".(١)

وهذا المفهوم اللُّغوي يدلُّ على أنَّ الدَّعوة في اللغة تطلق علي عمومها سواء كانت دعوة في طريق الخير والفلاح، أو دعوة في طريق الشر والفساد، ومن ذلك قول الحق سبحانه: **(وَيَاقَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ)**(٢) وهكذا يتضح من خلال ما سبق التعريف اللُّغوي للدَّعوة بمعانيها المتعدِّدة ومفاهيمها المتنوِّعة.

ثانيا: التعريف الاصطلاحي للدَّعوة إلى الله تعالى:

يتبيَّن من خلال الرجوع إلي أقوال العلماء في تعريفاتهم للدَّعوة إلى الله تعالى أنَّ هذه التعريفات علي كثرتها وفضلها؛ تدور حول معنيين الأوَّل بمعني الدين الإسلامي بما حواه من عقيدة وشريعة وأخلاق؛ والثاني بمعني الحركة بالدَّعوة تبليغاً ونشراً وإيصالاً للمدعوِّين، وفيما يلي أعرض لهذين التعريفين:

---

(١) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور جـ ١٤ صـ ٣٥٩، طبعة دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

(٢) سورة غافر الآيتان (٤٣/٤١).

الأول: تعريف الدعوة بمعني الدين:

تعرَّف بأنَّها: "الدين الذي ارتضاه الله تعالي للعالمين، وأنزل تعاليمه وحياً على رسوله (ﷺ)، وحفظها في القرآن الكريم وبينها في السنَّة النبويَّة".(١)

وهذا هو المعني الاصطلاحي الأوَّل للدعوة إلى الله تعالى؛ فهي تعني الإسلام بما اشتمل عليه من تعاليم تتناول جوانب العقيدة والشريعة والأخلاق ومما جاء في القرآن الكريم يدلُّ على هذا المعني المراد للدعوة قول الحق سبحانه **(لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ)**(٢) أي دين الحق وهو الإسلام.

الثاني: تعريف الدعوة بمعني البلاغ والنشر:

تعرَّف بأنَّها: "العلم الذي به تعرف أسس وتطبيقات كافة جوانب العمليات الفنية المتنوعة التي يقوم بها القادر علي تبليغ الإسلام علي الوجه المشروع؛ وتحقيق انتشاره بين الناس وفق خطة علمية مدروسة".(٣)

وهذا هو المعني الاصطلاحي الثاني للدَّعوة إلى الله تعالى فهي علم من العلوم نتعرف من خلاله علي كيفية تبليغ الإسلام للمدعوِّين من النواحي الفنية المختلفة؛ والتي تتعلق بأركان الدَّعوة الأساسية من داعية ومدعو وموضوع دعوة ووسائل وأساليب ومناهج دعوية؛ بما يضمن فاعلية هذه العمليات الفنية وفق خطة علمية معدّة تمكِّن من النجاح بإذن الله تعالي في تحقيق أهداف الدَّعوة المرجوة وآمالها المنشودة؛ ومما جاء في القرآن الكريم يدلُّ على هذا المعني المراد للدعوة قول الحق (ﷻ): **(قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)**(٤) وقوله سبحانه: **(ادْعُ إِلَى**

---

(١) الدعوة الإسلامية، أ.د. أحمد غلوش صـــ ٣٣، طبعة مؤسسة الرسالة ٢٠٠٥م.

(٢) سورة الرعد الآية (١٤).

(٣) الدعوة الإسلامية ا د/أحمد غلوش صـــ ٣٦

(٤) سورة يوسف الآية (١٠٨)

سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ)[1]

ومما جاء في السنَّة النبويَّة يدلُّ على هذا المعني الاصطلاحي للدَّعوة أنَّ النبيَّ (ﷺ) قال: **(بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً)**[2] وفي ضوء ما تقدَّم يتضح التعريف الاصطلاحي للدَّعوة إلى الله تعالى بشقيها المتقدمين.

(١) سورة النحل الآية (١٢٥).

(٢) صحيح البخاري، للإمام محمد ابن إسماعيل البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، جـ٢ صـ ٤٥٣ رقم ٣٤٦١، طبعة دار الحديث، القاهرة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

المطلب الثاني
التعريف بالمنهج الحسّي

أولا: تعريف المنهج الحسّي في اللغة:

١- **تعريف المنهج في اللُّغة:** بالرجوع إلي المعاجم اللغوية يتبيَّن أنَّ معني المنهج في اللغة يدلُّ علي الطَّريق الواضح المعلوم كما يدلُّ على الاتباع وفق خطة موضوعة ومحددة، فقد جاء في المعجم الوسيط: "نهج الطريق نهجاً ونهوجاً وضح واستبان، ويقال نهج الطريق بينه وسلكه، وأنهج الطريق وضح واستبان، وانتهج الطريق استبانه وسلكه، والمنهاج الطريق الواضح والخطة المرسومة".(١)

ومن خلال هذا المعني اللغوي للمنهج فهو يدلُّ علي معني الطريق المحدد الواضح الذي يسلكه الإنسان؛ كما يدلُّ علي الخطة المتبعة والمرسومة للإنسان تجاه شيء معين وهدف محدد.

٢- **تعريف الحسّ في اللُّغة:** "الحسُّ والحسيس الصوت الخفي، والحسُّ أيضاً وجع يأخذ النفساء بعد الولادة، وهو مصدر قولك حسَّ له أي رقَّ له، والحسُّ أيضاً برد يحرق الكلأ، والحواس المشاعر الخمس السمع والبصر والشم والتذوق واللمس".(٢) وهذا يدلُّ علي أنَّ الحسَّ في اللغة بمعني الإدراك والشعور والإحساس المتولد عن الحواس الخمس السمع والبصر والشم واللمس والتذوق بالنسبة للإنسان في سائر أحواله في هذه الحياة الدنيا كما أنَّ هذا الحسّ

---

(١) المعجم الوسيط، لفيف من العلماء جـ ٢ صـ ٨٣٦، طبعة مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٤م.

(٢) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبدالغفور جـ ٣ صـ ٩١٦، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

يكون معه في الدار الآخرة كما جاء ذلك في قوله تعالي: **(لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا)**([1]).

فقد أشارت هذه الآية الكريمة إلي عمل الحواس وخاصة حاسة السمع في الآخرة في عدم سماع المؤمنين لصوت جهنم؛ وهذا من ألوان النعيم التي أعدها الله تعالى يوم القيامة للصاحين من عباده.

ثانيا: تعريف المنهج الحسّي في الاصطلاح:

يعرِّف الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني المنهج الحسِّي بتعريفين:

"**الأول:** النظام الدَّعوي الذي يرتكز على الحواس ويعتمد علي المشاهدات والتجارب.

الثاني: مجموعة الأساليب الدَّعوية التي ترتكز علي الحواس وتعتمد علي المشاهدات والتجارب وذلك لأنَّ النظام الدَّعوي لا يظهر إلا بمجموعة أساليبه المطبقة له".([2])

وهذا التعريف الاصطلاحي للمنهج الحسِّي يستفاد منه أنَّ هذا المنهج الدَّعوي يقوم أساساً على الحواسّ الخمس السمع والبصر والشم واللمس والتذوق؛ وذلك من خلال عمل هذه الحواسّ في المشاهدات والتجارب في هذه الحياة الدنيا؛ والتي جعلها ربنا سبحانه منافذ إدراك وشعور للإنسان من خلالها يتواصل مع من حوله في هذا الكون الفسيح؛ فيزداد معرفة ويقيناً في الله تعالي، وهذا هو المقصد الأول من وراء الدعوة إلي الله تعالي، وهو ما سيراه القارئ بشيء من التفصيل في صفحات البحث والله تعالى أسأل التوفيق والسَّداد.

---

(١) سورة الأنبياء الآية (١٠٢)

(٢) المدخل إلي علم الدعوة دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل، د. محمد أبو الفتح البيانوني صـ ٢١٤، طبعة مؤسسة الرسالة.

المطلب الثالث
التعريف بسورة نوح

أولا: تعريف السُورة في اللغة والاصطلاح:

١- **تعريف السُّورة في اللُّغة:** بالرجوع إلي المعاجم اللُّغوية يتَّضح أنَّ معني السُّورة في اللُّغة مأخوذ من مادة سور والمراد به الحائط ومنه سور القرآن لأنَّها تحيط بالآيات بداخلها كما يحيط الحائط وهو السور بما يكون بداخله من أشياء وهذا يدلُّ على معني الفصل والاختصاص للسُّورة الواحدة عن غيرها من السُّور.

جاء في مختار الصحاح: "سور السُّورُ حَائِط المَدِينة وجمعه أَسْوَار وسِيران، والسُّور أيضاً جمع سُورَة مثل بُسْرة وبُسْر، وهي كلّ مَنْزِلة من البِنَاء، ومنه سُورَة القرآن لأنها مَنْزلة بعدَ مَنْزلة مَقْطُوعة عن الأخْرَى والجمع سُوَر بفتح الواو".(١)

فقد أشار هذا التعريف اللغوي للسُّورة إلي معني القطع والفصل للسُّورة من القرآن الكريم عن غيرها وهو ما تقدَّم ذكره.

٢- **تعريف السُّورة في الاصطلاح:** "هي طائفة من آيات القرآن الكريم جمعت وضم بعضها إلي بعض حتي بلغت في الطول المقدار الذي أراده الله تعالي لها وكل سور القرآن بدأت بالبسملة إلَّا براءة".(٢) وهي سورة التوبة.

ويتضح من خلال هذا التعريف للسُّورة أنَّ تحديد السُّور القرآنية بداية ونهاية إنَّما هو أمر توقيفي من الله تعالي وفق علمه سبحانه وإرادته؛ كما أنَّ كل سورة

---

(١) مختار الصحاح، للإمام الرازي، صـ ١٣٤، طبعة مكتبة لبنان ١٩٨٦م.

(٢) المدخل لدراسة القرآن الكريم، د. محمد محمد أبو شهبة صـ ٣٢٠، طبعة دار اللواء للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

تشتمل على آيات من القرآن الكريم معلومة وواضحة وتبدأ جميع السُّور بالبسملة إلَّا سورة التوبة.

ثانيا: التعريف بنبيِّ اللّه نوح (عليه السلام):

١- **التعريف بنبيِّ الله نوح (عليه السلام) في اللُّغة:** جاء في لسان العرب: "(نوح) النَّوْحُ مصدر ناحَ يَنُوحُ نَوْحاً ويقال نائحة ذات نِياحة ونَوَّاحةٌ ذات مَناحةٍ؛ ونُوحٌ اسم نبي معروف ينصرف مع العُجْمَةِ والتعريف".(١) وفي ضوء ذلك يتضح أنَّ اسم نوح مصدر مأخوذ من ناح ينوح وهو صوت النائحة وهذا أصل الاسم في اللُّغة العربيَّة.

٢- **التعريف بنبيِّ الله نوح (عليه السلام) اصطلاحاً:** "هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ – وهو إدريس – بن يرد بن مهلاييل بن قينن بن أنوش بن شيث بن آدم أبى البشر (عليه السلام)؛ وكان مولده بعد وفاة آدم بمائة وست وعشرين سنة، فيما ذكره ابن جرير وغيره؛ بعثه الله تعالى لما عُبِدَتْ الأصنام والطواغيت، وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد فكان أوَّل رسول بعث إلى أهل الارض، واختلفوا في مقدار سنِّه يوم بُعِثَ، فقيل كان ابن خمسين سنة، وقيل ابن ثلاثمائة وخمسين سنة، وقيل ابن أربعمائة وثمانين سنة حكاها ابن جرير، وعزا الثالثة منها إلى ابن عباس وقد ذكر الله قصَّته وما كان من قومه، وما أنزل بمن كفر به من العذاب بالطوفان، وكيف أنجاه وأصحاب السفينة، في غير ما موضع من كتابه العزيز؛ ففي الأعراف ويونس وهود والأنبياء والمؤمنون والشعراء والعنكبوت والصافات والقمر، وأنزل فيه سورة كاملة".(٢)

---

(١) لسان العرب، لابن منظور جـ ٢ صـ ٦٢٧.

(٢) قصص الأنبياء، للأمام: أبي الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: د. مصطفي عبدالواحد، جـ ١ صـ ٨٤/٨٣، طبعة مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

وفي ضوء ما تقدَّم يتبيَّن أن رسول الله نوح (عليه السلام) ينتهي نسبه إلي إدريس ثمَّ آدم (عليهما السلام)، وأنَّه بينه وبين آدم (عليه السلام) مائة وست وعشرون سنة تقريباً، وأنَّ نوح (عليه السلام) أرسله الله تعالى لما طغا الناس فعبدوا الأصنام والطواغيت من دون الله تعالى؛ وهو من أولي العزم من الرسل (عليهم السلام)؛ ورد ذكر قصَّته (عليه السلام) في سور كثيرة من القرآن الكريم؛ وقد أنزل فيه سورة كاملة سميت باسم سورة نوح وهي موضع البحث بمشيئة الله تعالى والله تعالى أسأل التوفيق والسداد.

ثالثا: التعريف بسورة نوح:

سورة نوح من السور المكية التي نزلت بمكة المكرمة؛ وعدد آياتها ثمانية وعشرون آية، وسميت بسورة نوح لورود ذكر قصة نبيّ الله نوح (عليه السلام) فيها، وتسمي أيضا سورة (إنا أرسلنا نوحاً) وذلك بمطلع السُّورة.

محور موضوعات السُّورة الكريمة:

تتناول موضوعات السُّورة موضوع العقيدة الإيمانيَّة في دعوة نبيِّ الله نوح (عليه السلام)؛ وذلك بداية من توحيد الله (عز وجل) في الربوبية والألوهية؛ وبيان الأدلَّة الساطعة في هذا الشأن؛ وإفراده سبحانه بالعبودية وترك عبادة ما سواه؛ والإيمان باليوم الآخر وما يشتمل عليه؛ وقد عرضت السورة لجهد نوح (عليه السلام) في دعوة قومه ومواصلة الدعوة بهمة ونشاط؛ وذكرت السُّورة إعراض قوم نوح عن قبول دعوته وتفننهم في هذا الشأن؛ ثم ختمت السورة بذكر حادثة الطوفان ونجاة المؤمنين وإغراق المكذبين.

المبحث الأوّل
إجادة الدّاعية إلى الله تعالى للمنهج الحسِّي في دعوته

تبدأ أحداث السورة الكريمة بذكر إرسال الحق (ﷻ) نوحاً (عليه السلام) إلي قومه رسولاً لهم من الله تعالي؛ وبداية جهده وحركته بالدَّعوة إلى الله تعالى منذراً بالإيمان بالله تعالى وعبادته سبحانه وحده لا شريك له؛ والتحقق بطاعته وتقواه، وما يترتب على ذلك من المغفرة من الله تعالى إن هم استجابوا لذلك، وقضاء أجلهم الذي قدره المولى (ﷻ)، ثم ذكرت السورة الكريمة جهد نبيّ الله نوح (عليه السلام) في دعوة قومه وإجادته في تنويع الأساليب والوسائل الدَّعوية من خلال دعوة قومه إلى الله تعالى بالمنهج الحسِّي، وفي هذا الشأن قال الله تعالي: **(إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ أَنْ أَنْذِرْ قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١) قَالَ يا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذا جاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (٤) قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا (٥) فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا (٦) وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا (٧) ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا (٨) ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا (٩) فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ**

يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠)).(١)

وفي ضوء الآيات الكريمة يتبيَّن إجادة الدَّاعية إلى الله تعالى نوح (عليه السلام) للمنهج الحسِّي في دعوته وذلك من خلال المطالب التالية في هذا المبحث والله المستعان:

(١) سورة نوح الآيات (١ – ٢٠).

المطلب الأول
التنويع في أوقات الدَّعوة بالمنهج الحسِّي

إنَّ أوَّل الركائز الهامة الي قصد نبيّ الله نوح (عليه السلام) إلي إجادتها في دعوة قومه؛ التنويع في أوقات الدعوة بين الليل والنهار وذلك مراعاة منه لتفعيل منافذ الإدراك من خلال حواس المدعوِّين والمخاطبين، فمن تنشط حواسه للإدراك والاستجابة بالليل دعاه بالليل، ومن تنشط حواسه للإدراك بالنهار دعاه بالنهار مستخدماً للمنهج الحسِّي وفي هذا الشأن قوله تعالي: **(قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا)**(١).

"لقد خلق الله العليُّ القدير الليل لتهدأ فيه النفوس وتنام العيون وتكف الجوارح عن ارتكاب الذنوب؛ ويعود الإنسان في نهاية نهاره إلي حساب نفسه فيطلب المغفرة من الله الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، والذي فتح باب المغفرة ليلاً ونهاراً، وقد أثبت علماء الطب حديثاً أنَّ الغدَّة الصنوبرية(٢) الموجودة في مؤخرة الرأس لا تعمل بكفاءة تامة إلَّا في ظلام الليل المعتم عند النوم، وهذه الغدَّة هي المسئولة عن حركة النشاط اليومي، وفي الليل ينام الإنسان ويكون ذلك بمثابة موتة صغري قال تعالي: **(وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ)**(٣) وبرغم هذه الموتة الصغرى إلَّا أنَّ جميع أجهزة الحياة مستمرة في

---

(١) سورة نوح الآية (٥).

(٢) الغدة الصنوبرية هي غدة صغيرة تقع علي السطح العلوي للدماغ بين نصفي كرة المخ تشبه ثمرة الصنوبر غزيرة التروية لها دور في إيقاف النضج الجسمي، أنظر كتاب تشريح جسم الإنسان، د. حكمت عبدالكريم فريحات، صـ ١٧٥، طبعة دار الشروق للنشر والتوزيع، الطبعة الأولي عام ٢٠٠٠م.

(٣) سورة الأنعام الآية (٦٠).

العمل، كما تبقي الحواس في العمل المستمر وعلي رأسها حاسَّة السمع دون أن يكون للإنسان سيطرة أو هيمنة عليها".(١)

وفي ضوء ما تقدَّم يتضح أنَّ من دلالات القدرة الإلهية في تعاقب الليل والنهار استمرار عمل الحواسّ لدي الإنسان وكذا أجهزة الحياة كالقلب وغيره في عمل متواصل ونشاط لا يفتر؛ وذلك كله دون أدني تدخل من الإنسان ذاته إيجاباً أو سلباً، وهذا من الآيات الإنسانية الحسية في خلق الإنسان والتي تستوجب الإذعان بالعبودية للخالق (ﷻ)، قال تعالى: **(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)**(٢)، وهو ما فطن إليه نبي الله نوح (عليه السلام) وهو ينوِّع في أوقات دعوته متحرياً يقظة الحواسّ لدي المدعوِّين من قومه آناء الليل وأطراف النهار؛ وهو يبذل قصاري جهده في إيقاظه للحواسّ الإنسانية لعلها تستجيب لنداء ربها وتنقاد له طائعة.

يقول الإمام الطاهر ابن عاشور (رحمه الله)(٣) متحدِّثاً عن آية تعاقب الليل والنهار: "الليل والنهار تكوينان عظيمان دالَّان على عظيم قدرة مُكوِّنهما ومنظِّمهما وجاعلهما متعاقبين، فنيطت بهما أكثر مصالح هذا العالم ومصالح

(١) مجلة البيان مقال بعنوان: دلائل قدرة الله اختلاف الليل والنهار، قاسم لاشين، بتاريخ ١٥/١٠/٢٠٠٥م باختصار.

(٢) سورة فصلت الآية (٥٣)

(٣) هو محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، ولد عام ١٢٩٦هـ ١٨٧٩م عين (عام ١٩٣٢) شيخا للإسلام مالكيا. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، توفي عام ١٣٧٣هـ ١٩٧٣م، انظر كتاب الأعلام للزركلي جـ ٦ صـ ١٧٤، طبعة دار العلم للملايين الخامسة عشر ٢٠٠٢م.

أهله، فمن مصالح العالم حصول التعادل بين الضياء والظلمة، والحرارةِ والبرودة لتكون الأرض لائقة بمصالح مَن عليها فتنبت الكلأ وتنضج الثّمار، ومن مصالح سكان العالم سكون الإِنسان والحيوان في الليل لاسترداد النشاط العصبي الذي يُعييه عمل الحواس والجسد في النهار، فيعود النشاط إلى المجموع العصبي في الجسد كله وإلى الحواسِّ، ولولا ظلمة الليل لكان النوم غير كامل فكانَ عود النشاط بطيئاً وواهناً ولعاد على القوة العصبية بالانحطاط والاضمحلال في أقرب وقت فلم يتمتع الإنسان بعمر طويل".(١)

وهكذا يوضح الإمام ابن عاشور (رحمه الله) أثر تعاقب الليل والنهار في عمل الحواسِّ الإنسانيَّة استجابة وإعراضاً نشاطاً وخمولاً؛ مما يعكس بدوره ضرورة تنويع الداعية في أوقات دعوته وهذا من باب إجادته للمنهج الحسِّي في ميدان الدَّعوة إلى الله تعالى، وهو يتوجَّه بدعوته للحواسّ الإنسانيَّة أملاً في تحقيق الاستجابة المرجوة من وراء عمله الدَّعوي.

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، جـ ١٢ صـ ٤٦٧، طبعة الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

المطلب الثاني
الجهر والسرّ في مخاطبة حواسّ المدعوّين

مما يكشف عن إجادة الدَّاعية إلى الله تعالى للمنهج الحسِّي في الدعوة؛ ما قام به نبيُّ الله تعالى نوح (عليه السلام) في الموازنة بين خطاب الجهر وخطاب السّرّ؛ سعياً منه للوصول إلي التأثير في حواسِّ المدعوِّين استجابة وقبولاً لدعوته، وفي هذا الشأن قول الحق (عز وجل): **(ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا)**(١).

يقول الشيخ طنطاوي جوهري (رحمه الله)(٢) **في تفسيره:** "فكنت أعلن لهم بأعلى صوتي؛ ثم كررت لهم الدعاء معلناً؛ فكنت أسرّ الرجل بعد الرجل أدعوه سرّاً لعبادتك وتوحيدك".(٣)

وكون نبيّ الله نوح (عليه السلام) ينوِّع بين الجهر والسرّ في الدعوة هذا أمر يدلُّ على أنَّ هناك فرقاً واضحاً بين صوت الجهر وصوت السرّ في السماع والتلقي من جانب المدعوين تأثيراً وانقياداً.

---

(١) سورة نوح الآيتان (٨ ــ ٩).

(٢) هو طنطاوي بن جوهري المصري باحث، له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة، ولد في قرية عوض الله حجازي عام ١٢٨٧هـ الموافق ١٨٧٠م من قرى مديرية الشرقية بمصر، وتعلم في الأزهر، وتخرج بدار العلوم، ودرس بها وبغيرها، توفي بالقاهرة عام ١٣٥٨هـ الموافق ١٩٤٠م من كتبه "الجواهر في تفسير القرآن الكريم" طبع، في ٢٦ جزءا. أنظر معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر عادل نويهض طبعة مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.

(٣) الجواهر في تفسير القرآن الكريم، طنطاوي جوهري جـ ٢٤ صـ ٢٦٢، طبعة مطبعة مصطفي البابي الحلبي ١٣٥١هـ.

"فالجهر هو ارتفاع في شدة الصوت فيكون للصوت المجهور من سمات القوة وطبيعة التأثير ما لا يكون لغيره من الأصوات؛ ومما يفيده الجهر حول التهديد والوعيد وهذا يحتاج إلي أصوات ذات وضوح سمعي لغرض التوصيل ودقة السماع، بينما الصوت المهموس يتّسم بالليونة في طبيعته وتكوينه على العكس من الجهر".([1])

وفي ضوء ما تقدَّم يقف القاريء علي الفرق في الدِّلالة الصوتية بين: الجهر والسرّ، وكذا الفرق في التأثير الحسّي بين الجهر والسرّ تأثيراً في الحسِّ البشري، فالفرق الأول: يدلُّ علي ارتفاع الصوت وشدته في الجهر، بينما يدلُّ علي لين وانخفاض الصوت في السرِّ أو الهمس، والفرق الثاني: يدلُّ علي أنَّ الجهر يؤثر بقوّة في حاسَّة السمع لدى المدعوِّين أثراً ووضوحاً؛ لذا يستعمل حول معاني الشدَّة والقوّة من التهديد والوعيد وما ناسب ذلك؛ أما السرّ فهو يستعمل في مواطن اللين والسهولة وله أيضاً تأثيره في حاسَّة السَّمع لدي المدعوِّين؛ لذلك كان نبيُّ الله نوح (عليه السلام) يجيد التنويع بين الجهر والسرّ في دعوته، وذلك من باب إجادته للمنهج الحسِّي في الدَّعوة؛ ضماناً لفاعلية التأثير في الأسلوب الدَّعوي ووصولاً بفضل الله تعالي لما ينشد من نتائج طيبة في ميدان الدَّعوة إلى الله تعالى.

ومن جانب آخر يكشف الإسرار بالقول عن حرص نبيّ الله نوح (عليه السلام) علي دعوة قومه مراراً وتَكراراً؛ فهو يسرُّ إليهم المرة بعد المرة مستميلاً لهم من أجل أن يؤمنوا بالله تعالي ويستجيبوا لنداء نبيه (عليه السلام)، كما أنَّ الإسرار بالقول

(١) الدلالات الصوتية للصفات العامة والصفات الخاصة في القرآن الكريم، د. فراكيس امحمد، مقال في مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد ٤٣ صـ ٣٣ بتاريخ ٢٠١٧/١١/١٥م.

يكشف عن مدي القرب الحسي بين الداعية والمدعوين فهو (عليه السلام) ليس بعيداً عنهم؛ إنَّما يخاطب هذه الحواسّ عن قرب مشاهد وملموس من خلال الإسرار لهم بالقول مراراً وتكراراً، وذلك كله يدلُّ علي مدي إجادة نبيّ الله نوح (عليه السلام) للدعوة إلي الله تعالى بالمنهج الحسِّي؛ مما يؤكد ضرورة أن يجيد الدعاة إلى الله تعالى اليوم المنهجية اللازمة للعمل الدَّعوي تأسياً بهدي المرسلين (عليهم السلام) الذين جعلهم الله تعالى موطن الأسوة والقدوة إلي أن يرث الله تعالى الأرض ومن عليها والله تعالى خير الوارثين.

المطلب الثالث
لفت حواسّ المدعوّين للمشاهدات الكونية

أقام الله تعالى في الكون أدلَّة حسِّية يبصرها الإنسان بعينيه تشهد بكمال قدرته تعالي؛ وتقرُّ بألوهيته سبحانه وربوبيته (ﷻ) للكون كله علويه وسفليه؛ وهذه الأدلَّة الحسِّية باقية ما بقيت الدنيا من خلق السموات والأرض والبحار والجبال ودقائق الكون وأجرامه التي أودعها ربنا سبحانه في الكون؛ بل أودعها تعالي في خلق الإنسان ذاته وما فيه من إعجاز عملي يشهد بطلاقة القدرة الإلهية؛ ثم دعانا ربنا سبحانه إلي النظر والتدبر في هذه الأدلَّة الحسِّية المودعة في الكون نظراً يقود طواعية للإيمان بالله تعالى.

وقد جاءت هذه الدَّعوة من قبل المولى (ﷻ) في مواضع كثيرة من القرآن الكريم، فعلي سبيل المثال لا الحصر قوله تعالي: **(سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)**(١) وقوله جلَّ شأنه: **(وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ * وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ * وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ * فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)**(٢)

ومتى سلمت الفطرة البشرية من الأمراض والمعوّقات وتغلبت عليها نظرت وتدبرت في هذه الأدلة العملية فانقادت لربها طائعة؛ ومتي استسلمت للأمراض والمعوّقات انتكست وأعرضت؛ لذلك جاءت سورة نوح (عليه السلام) تكشف عن دور نبيّ الله نوح (عليه السلام) في إيقاظ الحسِّ البشري ولفت حواسِّ المدعوِّين للمشاهدات الكونية والدقائق الحسِّية من خلال المنهج الحسي حتي تعمل هذه الحواسّ البشرية فيما أراده الله تعالى لها عملياً من التدبّر؛ وحتى تقوي بإذن الله تعالى

(١) سورة فصلت الآية (٥٣).
(٢) سورة الذاريات الآيات (٢٠ – ٢٣).

على التغلُّب على الأمراض والمعوقات التي تصدُّ عن سبيل الله تعالى؛ فتظفر برضا ربها سبحانه ويتحقق لها الفلاح في الدنيا والآخرة.

ويلمس القارئ هذا الدور العملي لنبيِّ الله نوح (عليه السلام) من خلال قوله تعالى: **(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا * مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا * وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا * لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا)**(١)

"هذا بيان لما كان يدعو نوح (عليه السلام) قومه إليه ويهتف فيهم به؛ والاستفهام في قوله مالكم لا ترجون لله وقارا وقد خلقكم أطواراً ينكر عليهم ما هم فيه من غفلة عن الله واستخفاف بجلاله وعظمته؛ وقد خلقكم أطواراً أي خلقاً من بعد خلق وهكذا كانت يد القدرة تنتقل بكم من طور إلي طور؛ وبين الطور الأول والأخير مراد فسيح لذوي الأبصار يرون فيه قدرة الخالق وعظمته وحكمته فتخشع الأبصار لجلاله؛ والاستفهام في قوله ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات دعوة إلي إيقاظ هذه العقول النائمة وفتح تلك العيون المغلقة التي لا تري شيئاً فيما حولها من هذا الوجود وما فيه من آيات شاهدة علي قدرة الله وحكمته".(٢) وفي ضوء ما تقدَّم يتبيَّن كيف كان نبيُّ الله نوح (عليه السلام) يسعي جاهداً في لفت أنظارهم وحواسِّهم للآيات الكونية والإنسانية في أنفسهم وفي

(١) سورة نوح الآيات (١٠ – ٢٠)

(٢) التفسير القرآني للقرآن، د. عبدالكريم يونس الخطيب، جـ ١٥ صـ ١١٩٨ وما بعدها، طبعة دار الفكر العربي.

الكون من حولهم؛ فتستيقظ عقولهم من النوم العميق؛ وتتفتح عيونهم المغلقة وتخشع أبصارهم لتري آثار قدرة الله تعالي في الكون.

وفي هذا الشأن قال الإمام ابن كثير (رحمه الله)(١): "كل هذا مما ينبِّههم به نوح (عليه السلام) علي قدرة الله تعالى وعظمته في خلق السموات والأرض؛ ونعمه عليهم فيما جعل لهم من المنافع السماوية والأرضية فهو الخالق الرزَّاق؛ جعل السماء بناء والأرض مهاداً وأوسع علي خلقه من رزقه فهو الذي يجب أن يعبد ويوحّد ولا يشرك به؛ لأنه لا نظير له ولا عديل ولا ند ولا كفء ولا صاحبة ولا ولد ولا وزير ولا مشير بل هو العليُّ الكبير".(٢)

وهذا يوضح ضرورة أن يقوم الدَّاعية إلى الله تعالى بتنبيه المدعوِّين ولفت أنظارهم وحواسِّهم إلي مظاهر القدرة الإلهية في الكون؛ وكذلك نعم الله تعالى علي عباده في الكون؛ والتي توجب أن يفرد سبحانه بالألوهية والربوبية عبادة وإخلاصاً له سبحانه؛ وهذا ما قام به نبيُّ الله نوح (عليه السلام) مع قومه في صورة مشرقة يتأسَّى بها الدُّعاة إلى الله تعالى على مرِّ الأزمان والعصور.

وما سبق بيانه يوضح أنَّ نبيَّ الله نوح (عليه السلام) عمل جاهداً في لفت حواسِّ المدعوِّين وتحريكها تجاه المشاهدات الكونية؛ وأنَّه جمع لهم بين أدلَّة الأنفس

---

(١) هو إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوّ بن درع القرشي البصروي ثم الدمشقيّ، أبو الفداء، عماد الدين: حافظ مؤرخ فقيه. ولد في قرية من أعمال بصرى الشام، عام ٧٠١هـ ١٣٠٢م وانتقل مع أخ له إلى دمشق سنة ٧٠٦ هـ ورحل في طلب العلم. وتوفي بدمشق عام ٧٧٤هـ ١٣٧٣م تناقل الناس تصانيفه في حياته من كتبه البداية والنهاية في التاريخ وتفسير القرآن الكريم. الأعلام خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي جـ ١ صـ ٣٢٠، طبعة دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر ٢٠٠٢م.

(٢) تفسير ابن كثير، للأمام أبي الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين جـ ٨ صـ ٣٤٧، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي ١٤١٩هـ.

وأدلَّة الآفاق؛ وهو ما يسمي بالآيات الإنسانية في خلق الإنسان والآيات الكونية في الكون؛ وهذا من جانبه (عليه السلام) إجادة للدَّعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسِّي، تفعيلاً لهدي القرآن الكريم في دعوته للنظر والتفكر والتدبّر في النفس والكون من أجل الوقوف على الأدلَّة الحسِّية الملموسة؛ التي تقود إلي الإيمان بالله تعالي ورسله (عليهم السلام) إيماناً يصدر عن رغبة وقناعة تامة بأنَّه الحقّ الذي لا يقبل المساومة؛ إذا ما تفتحت بصيرة الإنسان لإدراك الحقّ والعمل به.

"فالبصيرة نور يقذفه الله تعالي في القلب يري به حقيقة ما أخبرت به الرُّسل كأنَّه يشاهده رأي عين؛ فيتحقّق من ذلك انتفاعه بما دعت إليه الرُّسل وتضرره بمخالفتهم، وهذا معني قول بعض العارفين البصيرة تحقّق الانتفاع بالشيء والتضرّر به".(١)

وقد خاطب نبيُّ الله نوح (عليه السلام) هذه البصيرة في قلوب المدعوين لينتفعوا بما أخبرهم به فيؤمنوا بالله تعالي وحده لا شريك له ويعبدوه وحده سبحانه؛ وليستشعروا الضَّرر بمخالفتهم له في عدم إيمانهم بالله تعالي وعبادة ما سواه، وذلك كله من خلال إيقاظ حواسِّهم للتنقل اليقين إلي قلوبهم، فيتحققون بالبصيرة التي تريهم الحقيقة واضحة جليَّة.

ومن جانب آخر فقد جاء هذا الخطاب الدَّعوي علي لسان نبيِّ الله نوح (عليه السلام) في صورة الاستفهام الإنكاري لينكر عليهم حالهم في عدم توقيرهم وإجلالهم لله تعالي في قوله تعالى: **(مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا)**؛ ولهذا الاستفهام الإنكاري أثره في المخاطبين زجراً وردعاً لهم ومراجعة لأحوالهم مع

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام: ابن القيم، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، صـ ١٤٣، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

لفته لحواسِّهم للنظر والتدبُّر في خلقهم أنفسهم في قوله تعالى: **(وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا)** طوراً بعد طور من نطفة فعلقة فمضغة فخلق العظام فكسوة العظام باللّحم؛ ثمَّ يخرج الإنسان من رحم أمه طفلاً، ثمَّ يكبر شيئاً فشيئاً، ثمَّ يصل لمرحلة الشيخوخة، وهذه الأطوار يشاهدونها بأبصارهم فعليهم أن يراجعوا أنفسهم.

ثمَّ جاء الخطاب الدعوي علي لسان نبيِّ الله نوح (عليه السلام) في صورة الاستفهام التقريري ليقرِّرهم بحقائق ملموسة ومشاهدات حسِّية في الكون لا تقبل الشكَّ أو الجدال في قوله تعالى: **(أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا)** وليلفت حواسِّهم لذلك فما عليهم إلَّا أن يقرُّوا بما تشاهده أبصارهم من خلق السموات والأرض والشمس والقمر والنجوم والكواكب وهذا الكون الفسيح.

المطلب الرابع
سوق البشارات الحسيّة العاجلة للمدعوّين

من فقه الداعية إلى الله تعالى في إجادته للدَّعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسِّي سوق البشارات الحسِّية العاجلة للمدعوِّين؛ فمن طبيعة الإنسان أنَّه يحبُّ الخير ويرغب فيه؛ ومن طبيعته أيضاً أنَّه يستعجل الخير في الحياة الدنيا؛ فإذا ما لاحت له بشارات حسِّية عاجلة تحرَّك تجاهها مسرعاً، ورغب في تحقيقها في أقرب وقت ممكن، وقد أدرك ذلك نبيُّ الله نوح (عليه السلام) في دعوته قومه إلى الله تعالى، فقد أجاد سوق البشارات الحسِّية العاجلة للمدعوِّين؛ من أجل أن يستجيبوا لدعوته فيؤمنوا بالله تعالي القادر على تحقيق هذه البشارات الحسِّية العاجلة لهم؛ ويتركوا عبادة الآلهة الأخرى التي لا تقوي على جلب خير لهم ولا دفع ضرّ عنهم، وهذا أمر يلمسه القاريء في قوله سبحانه: **(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا)**(١).

"استغفروا ربكم بالتوبة من الشرك والمعاصي لتنعموا بخيري الدنيا والآخرة؛ وقد وعدهم عليه تحقيق أمور هي أحبّ إلي نفوسهم وأوقع في قلوبهم من الأمور الأخروية لديهم وهي الرغبات الدنيوية التي جبلوا علي حبها والتعلُّق بها لما فيها من الفوائد العاجلة لهم، قال قتادة: كانوا أهل حبّ للدنيا فاستدعاهم إلي الآخرة من الطريق التي يحبونها، وقيل لما كذَّبوا بعد تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام نساءهم أربعين سنة وقيل سبعين سنة؛ فوعدهم إن هم آمنوا أن يرزقهم الله تعالى الخصب ويرفع عنهم ما كانوا فيه، ولا شك أنَّ نزول المطر من أعظم النعم التي تتعلق بها نفوسهم وتهفوا إليها قلوبهم، فحرّكوا

(١) سورة نوح الآيات (١٠ – ١٢).

بما يفيئه الله عليهم من الأموال والبنين إلي الإيمان، كما حرّكوا كذلك بأن يجعل سبحانه لهم في ديارهم بساتين وحدائق فيها أنواع الثمار، ويجعل لهم أنهاراً جارية يجدون فيها كل منافعهم".(١)

ومن خلال ما سبق يتبيَّن كيف كان نبيُّ الله نوح (عليه السلام) يسوق لقومه من البشارات الحسِّية العاجلة التي يلمسونها في واقع حياتهم وتتعلق بها نفوسهم؛ من نزول المطر الذي هو سبب للرزق والخير، وإمدادهم بالأموال الكثيرة وكذلك كثرة أولادهم، وإمدادهم بالحدائق والبساتين والأنهار الجارية، إن هم استجابوا لدعوته وآمنوا برسالته، وذلك نظراً لأنَّهم قد أحبُّوا هذه المنافع العاجلة على المنافع الآجلة في الآخرة، وتعلَّقوا بها تعلُّقاً كبيراً، فقدَّم لهم نبيُّ الله نوح (عليه السلام) البشارة بها وذلك إجادة منه (عليه السلام) للمنهج الحسِّي في الدَّعوة إلى الله تعالى.

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، تأليف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر جـ ١٠ صـ ١٥٩٦/١٥٩٧، طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الأولي ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

المطلب الخامس
الأثر الدعوي لإجادة الداعية للمنهج الحسّي في دعوته

إنَّ ما تقدَّم بيانه من خلال هذا المبحث يوضح بصورة دقيقة الأثر الدعوي في العصر الحاضر لإجادة الداعية للمنهج الحسِّي في دعوته، لاسيما وأنَّ الإنسانيَّة الآن في القرن الحادي والعشرين قد وصلت لمرحلة التقدُّم الكبير في مجال العلوم التجريبية والحسِّية، وهذا يؤكِّد ضرورة أن يكون الدَّاعية اليوم متمكناً من إجادة المنهج الحسِّي في ميدان الدَّعوة؛ تفاعلاً مع الواقع المعاصر ومشاركة في هذا التقدم العلمي العملي؛ خاصَّة أنَّ مجال العلوم التجريبية العملية مجال خصب فسيح لعمل الدَّاعية اليوم، وفي هذا المطلب أوضح بشيء من التفصيل الأثر الدَّعوي والله تعالى أسأل التوفيق والسداد.

أولا: معايشة واقع المدعوّين المعاصر:

يعيش الناس اليوم عصراً شهد تقدماً وانفتاحاً في شتي العلوم النظرية والعملية والمجالات المختلفة، وأصبح العالم اليوم بمثابة قرية صغيرة، وهذا الواقع المعاصر الذي يعيشه المدعوُّون يوجب علي الدُّعاة اليوم أن يتمكَّنوا من معايشته مشاركة وتواصلاً؛ وما تقدَّم بيانه في شأن إجادة الدَّاعية للمنهج الحسِّي في الدَّعوة؛ يعدُّ صورة عملية لمعايشة الواقع من جانب الدُّعاة اليوم، فلا يصح بحال من الأحوال أن ينفصل الدُّعاة عن معايشة الواقع المعاصر للمدعوِّين؛ فلا يهتمُّوا بهذا المنهج الدَّعوي العملي بدعوي أنَّهم لا يجيدوه ولا يتمكَّنوا منه، فقد قدَّم نبيُّ الله نوح (عليه السلام) بياناً عملياً وهو في مهد البشرية الأولي وبداية حياتها؛ لدعاة اليوم وهم في القرن الحادي والعشرين في مجال إجادة المنهج الحسِّي معايشة ومشاركة لواقع المدعوِّين؛ ومعرفة أحوالهم وأوضاعهم بل ومعرفة رغائبهم وتطلعاتهم في الحياة الدنيا؛ ثم نفذ إلي قلوبهم من خلال هذه المعايشة بالدعوة إلي الله تعالي.

ثانيا: تفعيل الدَّعوة في مجال العلوم الطبيعية العمليَّة:

إنَّ مجال العلوم الطبيعية العمليَّة اليوم مجال خصب وفسيح يحظى باهتمام الكثير من الباحثين والعلماء في مجالات متعددة كالطبِّ والصيدلة والفلك والفيزياء والكيمياء والرياضيات وغيرها؛ من العلوم التي تعتمد على التجربة والملاحظة المادية التي تقوم علي الحواس في المقام الأوَّل؛ وقد تقدَّمت الإنسانيَّة اليوم في هذا المجال تقدُّماً ملحوظاً في الاكتشافات العلمية العملية؛ وأصبحت الحاجة ملحة لتفعيل الدَّعوة إلي الله تعالي في هذا المجال العلمي الهام؛ ولا يتحقق ذلك بالدَّعوة النظرية المجرَّدة؛ إنَّما يتحقق ذلك بالدَّعوة العمليَّة التي توجِّه الملاحظة والتجربة بنتائجها إلي وجهة صنع الله تعالي وطلاقة قدرته في الكون؛ وهذا أمر يتطلَّب من الدُّعاة اليوم التحقُّق بإجادة المنهج الحسِّي في الدَّعوة؛ حتي يتمكَّنوا من تفعيل الدَّعوة في مجال العلوم الطبيعية العمليَّة.

ثالثا: التصدي لظاهرة الإلحاد في العصر الحاضر:

تقوم ظاهرة الإلحاد(١) علي أساس إنكار وجود الله الخالق للكون (ﷻ) والوقوف عند المادة باعتبارها أزليَّة؛ وأنَّها أساس وجود الكائنات في الكون كله دون حاجة إلي وجود خالق قادر غير هذه المادة؛ وقد انتشرت هذه الظاهرة بشكل مخيف في العصر الحاضر؛ لاسيما بين أوساط الباحثين في الغرب في

(١) الإلحاد هو: مذهب فلسفي يقوم على فكرة عدمية أساسها إنكار وجود الله الخالق (ﷻ) فيدّعي الملحدون بأن الكون وجد بلا خالق وأن المادة أزلية أبدية، وهي الخالق والمخلوق في نفس الوقت، ومما لا شك فيه أن كثيراً من دول العالم الغربي والشرقي تعاني من نزعة إلحادية عارمة جسدتها الشيوعية المنهارة والعلمانية المخادعة. الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، تأليف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مراجعة: د. مانع بن حماد الجهني جـ ٢ صـ ٨٠٣، طبعة دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ.

العلوم التجريبية العمليَّة؛ فقد نسبوا كل شيء للمادة التي توصلوا إليها بالملاحظة والتجربة الحسِّية وتبنُّوا فكرة الإلحاد المادي في العصر الحاضر؛ ولا يشك عاقل في فساد هذه الظاهرة وبطلانها عقدياً؛ ومن جانب آخر فلا تعارض بين العلم التجريبي والدين الإسلامي؛ فقد أقام الخالق (ﷻ) أدلَّة علمية طبيعية تقرُّ بوجوده وقدرته في الكون، فمتي تجرد الباحثون من الهوي أدركوا هذه الأدلَّة العمليَّة في أبحاثهم، وهذا يكشف عن الدور الحيوي للدُّعاة إلي الله تعالي في التصدِّي لهذه الظاهرة؛ من خلال الاهتمام بدراسة وإجادة المنهج الحسي في الدعوة؛ والذي من شأنه أن يربط بين نتائج أبحاثهم وبين الإذعان والإقرار بوجود الله تعالي وكمال قدرته في الخلق والتدبير للكون كله علويه وسفليه، فلا يقفون عند المادة مطلقاً إنَّما يبحثون عما وراءها؛ ويعدُّ هذا الأمر من جوانب الأثر الدَّعوي لإجادة الدَّاعية للمنهج الحسِّي في دعوته؛ وهو ما قام به نبيُّ الله نوح (عليه السلام) عندما لفت أنظار المدعوين لما وراء الطبيعة المشاهدة من أجل أن يستدلُّوا على وجود الله تعالي فيؤمنوا به سبحانه، ويقرُّوا بألوهيته وربوبيته للكون ويقفوا عملياً على فساد معتقداتهم في آلهتهم المزعومة.

المبحث الثاني
عرض موضوع الدَّعوة بالمنهج الحسِّي

عرضت سورة نوح (عليه السلام) لدعوة نبيِّ الله نوح (عليه السلام) بداية من ذكر إرساله إلي قومه رسولاً من عند الله تعالى؛ يدعوهم إلي الإيمان بالله تعالي وحده لا شريك له، وعبادته (سبحانه وتعالى) وترك عبادة ما سواه، وذكرت السورة الكريمة كيف تحرَّك نبيُّ الله نوح (عليه السلام) بعرض موضوع الدعوة بالمنهج الحسي باذلاً في سبيل ذلك أقصي جهد بشري ممكن؛ مكرراً وناصحاً ومنوعاً ومغايراً، وفي هذا المبحث أتناول هذا الأمر بشيء من التفصيل والله تعالى أسأل التوفيق والسَّداد.

المطلب الأول
الدعوة إلي عقيدة التوحيد بالمنهج الحسّي

بدأ نبيُّ الله نوح (عليه السلام) بالدَّعوة إلي عقيدة التوحيد الخالصة من خلال دعوة قومه إلي الإيمان بالله تعالي وحده لا شريك له؛ وأنَّ عليهم أن يقرُّوا بتوحيد الربوبية لله تعالي ربَّاً وخالقاً ورازقاً؛ كما أنَّ عليهم أن يقرُّوا بتوحيد الألوهية لله تعالي إلهاً واحداً لا إله إلا هو ولا معبود سواه؛ وتحرَّك (عليه السلام) بالدَّعوة إلي هذه العقيدة الخالصة بالمنهج الحسِّي مخاطباً حواسّهم ومداركهم؛ ومستدلَّاً علي صحَّة ما يدعو إليه من العقيدة الخالصة بأدلَّة حسِّية يشاهدونها بأبصارهم؛ في أنفسهم وفي الكون من حولهم، وفي هذا الشأن قوله تعالى: **(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا (١٢) مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا (١٧) ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا (١٨) وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا (١٩) لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا (٢٠))**.(١)

فقد فصلت الآيات الكريمة كيف تناول (عليه السلام) الدَّعوة إلي عقيدة التوحيد تناولاً عملياً من خلال المنهج الحسِّي بربط دعوته بالأدلَّة العمليَّة الحسِّية والمشاهدات الكونية الواضحة لأولي الأبصار، والتي من شأنها أن تحرِّكهم للإيمان بالله تعالى.

"فقد وعدهم علي التوبة من الكفر والعصيان بخمسة أشياء: إرسال المطر المتتابع الكثير الغزارة ليكثر الخير والخصب، والإمداد بالأموال الكثيرة وإكثار

(١) سورة نوح الآيات (١٠ – ٢٠).

الذريَّة والأولاد، ومنحهم بساتين نضرة عامرة بالثمار، وجعل الأنهار جارية بالماء العذب ليكثر الزرع والثمر، ولم يدع نبيُّ الله نوح (عليه السلام) دليلاً إلَّا استدلَّ به لقومه علي وجود الله ووحدانيته وقدرته من خلق السَّماوات والأرض وخلق الناس وإنبات النبات.

فقد بيَّنت الآيات أنواع الدلائل علي وحدانية الله وقدرته من خلق السَّماوات المتطابقة بعضها فوق بعض، وجعل القمر في السماوات منّوراً لوجه الأرض من غير حرارة، وجعل الشمس مصدراً الضوء كالسراج، وخلق آباكم آدم من التراب، وجعل الأرض لكم ممهدة منبسطة للتمكين من العيش عليها والاستقرار فيها، وجعلكم تبحثون فيها عن الرزق".(١)

ومن خلال ما تقدم يتبيَّن أنَّ نبيَّ الله نوح (عليه السلام) ربط دعوته قومه لعقيدة التوحيد بتقديم الدلائل الكونية والدلائل الإنسانيَّة؛ وهو يسعي جاهداً في إيقاظ الحسِّ البشري ليلتفت لهذه الدلائل الكونية والإنسانيَّة؛ فيستفيق من غفلته ويشمر عن رقدته؛ فيشهد لله تعالي بالوحدانية ولنبيه بالرسالة؛ ويتحقق بعبادة الله سبحانه الخالق القادر؛ والذي عاين عملياً آثار قدرته في الكون والنفس الإنسانية؛ لكنَّ قوم نوح (عليه السلام) أبوا إلَّا الجحود والكفر ورضوا بتعطيل حواسِّهم عن معايشة هذه الأدلَّة؛ وراحوا يتلمَّسون عبادة آلهة مزعومة ليس لها آثاراً أو دلائل تذكر.

(١) التفسير الوسيط، د. وهبة الزحيلي جـ ٣ صـ ٧٤٤/٧٤٥، طبعة دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولي ١٤٢٢هـ.

المطلب الثاني
بيان أحقيّة الله تعالى بالعبادة

من الركائز الهامة التي اهتمَّ بها نبيُّ الله نوح (عليه السلام) في عرضه لموضوع الدَّعوة بالمنهج الحسِّي من خلال سورة نوح؛ التأكيد على أحقِّية الله تعالى بالعبادة وحده سبحانه وهذا ليس على سبيل البيان المجرد منه (عليه السلام)؛ إنَّما ربط استحقاق العبادة لله تعالى بالدلائل الحسِّية التي تثبت له سبحانه طلاقة القدرة الإلهية؛ ومن ثمَّ فهو أحقُّ بالعبادة لقدرته سبحانه المطلقة في الكون من معبودات أخري نسبوا لها هذا الاستحقاق زوراً وبهتاناً؛ رغم أنَّها أمام أعينهم لا تقدر علي شيء مطلقاً، ولا تملك لهم نفعاً ولا ضراً، إنَّما هو الإمعان منهم في الغيِّ والضَّلال.

ويلمس القارئ هذه الركيزة الهامة من جانب نبيِّ الله نوح (عليه السلام) في قوله تعالى: **(مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا * وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا * أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا)**(١).

فنبيُّ الله نوح (عليه السلام) أنكر عليهم أنَّهم لا يتوجَّهون بالتوقير والإجلال والعبادة لله تعالى؛ ومقتضي قدرته سبحانه يستوجب ذلك فقد خلقهم سبحانه بقدرته أطواراً مختلفة ومراحل متباينة يرونها بأبصارهم ويشاهدونها أمام أعينهم؛ ثمَّ نقلهم لطلاقة القدرة الإلهية في الآيات الكونية مقرراً لهم أنَّه سبحانه خلق سبع سماوت طباقاً متنقلاً بهم بين الآيات الكونية الظاهرة.

"**يقال: ما الآيات في السَّموات والأرض؟ والجواب:** الدلائل، وهي من وجوه كثيرة: منها: أنَّه يدلُّ خلقها على خالق لها؛ لأنَّه لا يكون بناء بغير بان، ومنها: أنَّها أعظم الخلق، ومنها: أنَّها محكمة على اتِّساق ونظام، وهذا يدلُّ على أنَّ

(١) سورة نوح الآيات (١٣ – ١٥).

صانعها واحد، وعلى أنَّه قديم؛ لأنَّه صانع غير مصنوع، ومنها: أنَّها ممسكة مع عظمها وثقل جرمها بغير عمد إلى أشباه ذلك، ويسأل: عن الآيات في خلق الإنسان؟ والجواب: أنَّها من وجوه: منها: خلق الإنسان على ما هو به من وضع كل شيء في موضعه لما يصلح له، وذلك يقتضي أنَّ الصانع عالم بموضع المصالحة، ومنها: جعل الحواسِّ الخمس على الهيئة التي تصلح لها، ومنها: آلة مطعمه ومشربه، ومثال ذلك، كل هذا في تدبير محكم".(١)

وهذه الأدلَّة وغيرها الكثير مما يدلُّ بصورة واضحة علي استحقاقه (ﷻ) للعبادة وحده دون غيره.

وممَّا يؤكِّد هذا المطلب الهام أنَّ القرآن الكريم في غير موضع من آياته أكَّد على أحقِّية الله تعالى بالعبادة وربط ذلك بالأدلَّة الحسِّية في الأنفس والآفاق؛ وتجد ذلك واضحا في قوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ)**(٢)

يقول الإمام الطبري (رحمه الله)(٣): "الذي خلقكم وخلق آباءكم وأجدادَكم وسائرَ الخلق غيرَكم، وهو يقدرُ على ضرّكم ونَفعكم أولى بالطاعة ممن لا يقدر لكم

(١) النكت في القرآن الكريم في معاني القرآن الكريم وإعرابه، علي بن فَضَّال القيرواني، تحقيق: د. عبدالله عبدالقادر الطويل، صـ ٤٤٥ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

(٢) سورة البقرة الآيات (٢١/٢٢).

(٣) هو محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان ٢٢٤هـ، واستوطن بغداد وتوفي بها٣١٠هـ، وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى من مؤلفاته أخبار الرسل والملوك و جامع البيان في تفسير القرآن. الأعلام خير الدين بن محمود الزركلي الدمشقي جـ ٦ صـ ٦٨.

على نَفع ولا ضرّ".(١)

ومن خلال ما سبق يتبيَّن أنَّ من الركائز الهامة التي اعتمد عليها نبي الله نوح (عليه السلام) في عرضه لموضوع دعوته بيان أحقِّية الله تعالى بالعبادة وربط هذه الركيزة الهامَّة بالأدلَّة الحسِّية الملموسة؛ والتي تؤكِّد مصداقية هذه الركيزة الهامَّة منه تنويعه للأدلَّة لتتناول الأدلَّة الإنسانيَّة في خلق الإنسان وأطواره المعلومة وكذلك الأدلَّة الكونية في الآفاق من خلق السَّموات والأرض والشمس والقمر وهذا التنظيم المحكم الدقيق والذي يوجب له سبحانه وحده العبادة دون غيره.

(١) جامع البيان في تأويل آيات القرآن، للإمام: محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. أحمد محمد شاكر جـ ١ صـ ٣٦٢، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولي ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

المطلب الثالث
الدَّعوة إلي التَّفكُر في ملكوت السَّماوات والأرض

من المطالب الهامَّة في ميدان الدَّعوة إلى الله تعالى التفكُّر في ملكوت السَّماوات والأرض؛ فقد استوعبت سورة نوح (عليه السلام) هذا المطلب بصورة واضحة جليَّة؛ وذلك من خلال تركيزه (عليه السلام) في دعوة قومه للتفكُّر في ملكوت السَّماوات والأرض من بداية رسالته إلي نهايتها، ودعوة قومه إلي إعمال حواسهم للتعرُّف علي ملكوت السَّماوات والأرض، وما يترتَّب علي هذه المعرفة من التدبُّر والانقياد لدعوته طائعين، ومعاينة أدلَّة الإيمان بصورة عمليَّة في واقع الكون والحياة؛ معاينة تثبتها حواسِّهم ويصدِّقها فكرهم في ملكوت السَّماوات والأرض، فقد ذكرت في مطلبين السابقين أنَّ نبيَّ الله نوح (عليه السلام) ربط دعوته لعقيدة التوحيد وعبادة الله تعالى بالأدلَّة الحسيَّة العمليَّة؛ حتي يحرِّكهم تجاه هذا المطلب من التفكُّر في ملكوت السَّماوات والأرض، فيؤمنوا بالله تعالى عن يقين راسخ ويخلعوا ما هم فيه من تقليد مذموم لأسلافهم، ولقد أثني ربنا سبحانه في كتابه الكريم علي الذين يتفكَّرون في خلق السَّماوات والأرض في قوله تعالي: **(إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ * الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)**(١)

"أصل الفكر إعمال الخاطر في الشيء، وتردد القلب في ذلك الشيء، وهو قوة متطرقة للعلم إلي المعلوم، والتفكُّر جريان تلك القوة بحسب نظر العقل، وقوله تعالى: ويتفكَّرون استدلالاً واعتباراً في بديع صنعهما وإتقانهما مع عظم

(١) سورة آل عمران الآيتان (١٩٠/١٩١).

أجرامهما، وما أبدع الله فيهما من عجائب مصنوعاته وغرائب مبتدعاته ليدلّهم ذلك علي كمال قدرة الصانع (ﷻ)، ويعلموا أنَّ لهم خالقاً قادراً مدبراً حكيماً؛ لأنَّ عظم آثاره وأفعاله تدلُّ علي عظم خالقه (ﷻ)".(١)

فمتى تحرَّك الإنسان بفكره تجاه ملكوت السَّماوات والأرض فتح الله تعالى له آفاق المعرفة والمشاهدة العمليَّة التي يزداد بها يقيناً وإيماناً بالله تعالى وبآثار قدرته وسلطانه في الكون؛ وهو ما ركَّز عليه نبيُّ الله نوح (عليه السلام) في دعوته قومه من أجل أن يحرِّكوا عقولهم وينشطوا بفكرهم تجاه ما لفتهم إليه من أدلَّة حسَّية في الكون والحياة؛ لكنَّهم أصرُّوا علي إغلاق قلوبهم وعقولهم، ورفضوا دعوته (عليه السلام)، ورضوا بتقليد أسلافهم في عبادة أصنام لا تملك لنفسها نفعاً ولا ضرّا فضلاً عن غيرها، فلم يستحقوا الثناء من الله تعالى، إنَّما استحقوا أن يكونوا من الكافرين الجاحدين، وأن يغرقهم الله تعالى بالطوفان، ويجعلهم سبحانه آية وعبرة لغيرهم، ولكل من يصرُّ على إغلاق قلبه وعقله، ويأبي أن يتفكَّر في ملكوت السَّماوات والأرض، ويتبع هوي نفسه ولا يتبع رسل ربه، وما قدَّمه نبيُّ الله نوح (عليه السلام) من دعوة عملية في هذا الشأن إنَّما هو معتمد في المقام الأول علي المنهج الحسِّي بأدلَّته العمليَّة كما تقدَّم ذلك من قبل في المطلبين السابقين.

(١) تفسير حدائق الروح والريحان في علوم القرآن، محمد الأمين بن عبدالله الشافعي مراجعة: د. هاشم محمد علي، جـ ٥ صـ ٣٣٨، طبعة دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

المطلب الرابع
بيان زيف المعبودات الأخرى من دون الله تعالى

حرص نبيُّ الله نوح (عليه السلام) في مقام عرض موضوع الدَّعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسِّي علي بيان زيف المعبودات الأخرى من دون الله تعالى؛ والتي تبع فيها قوم نوح أسلافهم من خلال التقليد الأعمى دون فكر أو نظر؛ من الأصنام والأوثان وكل ما عبدوه من دون الله تعالي؛ وقد أكَّد هذا الزيف الواضح بالأدلَّة الحسَّية منذ اللحظة الأولي لدعوته ورسالته، فمن القضايا الهامة التي تشغل الفكر الإنساني قضيتي الأجل والرِّزق، والخوف من هاتين القضيَّتين أدَّي إلي ضياع الكثير من الناس، لذلك أعلن لهم منذ البداية من خلال سوق الأدلَّة الحسَّية التي تكشف زيف معبوداتهم وأنَّها لا تقوي علي تقدير آجال أو أرّزاق، وتجد ذلك واضحاً بالنسبة لقضيَّة الأجل في قوله تعالى: **(أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ)**(١).

وبالنسبة لقضية الرّزق في قوله تعالى: **(يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا)**(٢) وقد أكَّد نبيُّ الله نوح (عليه السلام) علي زيف معبوداتهم الأخرى من دون الله تعالي وتجد ذلك واضحاً من خلال قوله تعالى: **(قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا * وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا * مِمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ**

(١) سورة نوح الآيتان (٣ – ٤).

(٢) سورة نوح الآيتان (١١ – ١٢).

أَنْصَارًا)([1]) فقد أوضح نبيُّ الله نوح (عليه السلام) فساد وضلال عبادتهم للأصنام وآلهتهم المزعومة ودّا وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً([2]) والتي تواصوا فيما بينهم على عدم ترك عبادتها؛ وأنَّها أوجبت لهم الهلاك بالطوفان في الدنيا وعذاب النار في الآخرة.

(١) سورة نوح الآيات (٢١ – ٢٥)

(٢) سيأتي التعريف بهم في موضعه من البحث.

المطلب الخامس
الأثر الدَّعوي في عرض موضوع الدَّعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسِّي

في هذا المطلب يقف الدُّعاة اليوم علي أهمِّية عرض موضوع الدَّعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسِّي وأثره الدَّعوي الفعَّال؛ لا سيما أنَّ هذا العصر هو عصر العلوم التجريبية والماديَّة التي تعتمد على المنهج الحسِّي؛ وأصبحت القناعات المترتبة علي ذلك لا تقبل الشكَّ أو الزيف؛ لذلك كان لابد للدُّعاة إلى الله تعالى اليوم أن يحسنوا عرض ما عندهم من موضوعات من خلال المنهج الحسِّي وأدلَّته العمليَّة المشاهدة التي تقود إلي القناعات التي ينشدها الدُّعاة في دعوتهم، ومن باب الحرص على التواجد والمشاركة في تقدُّم الإنسانيَّة اليوم، والذي أشرت إليه سابقاً، وسأعرض لهذا الأثر الدَّعوي المترتب علي ذلك بشيء من التفصيل والله تعالي أسأل التوفيق والسَّداد.

أولا: نشر رسالة الإسلام بين أقطار العالم:

إذا كان العالم اليوم غلبت عليه النزعات المادية بين الشرق والغرب وسيطرت عليه العلوم التجريبية المجرَّدة؛ وغدا لا يؤمن إلَّا بالملاحظة والتجربة وما يترتب عليهما من علم ومعرفة؛ فإنَّ إنسان العصر بحاجة ماسَّة إلي مادة إسلاميَّة تقوده للإيمان؛ وذلك من خلال حسن عرض الإسلام بين أقطار العالم بروح العصر ونزعاته المختلفة.

" إنَّ فهم الإشارات الكونية في كتاب الله علي ضوء ما تجمَّع للبشريَّة اليوم من معارف؛ وتقديمها للعالم كواحد من الأدلَّة العديدة علي أنَّ القرآن الكريم هو كلام الله الذي أنزله بعلمه، والذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي حفظ بحفظ الله بنفس اللُّغة التي أوحي بها بدقائق حروفه وكلماته وآياته وسوره؛ يعتبر فتحاً جديداً للإسلام وإنقاذاً للبشريَّة من الهاوية التي تتردى فيها

اليوم؛ بسبب تقدمها العلمي والتقني وتضاؤل روح الإيمان بالله، وانعدام الخشية من عذابه في نفوس القطاع الأكبر من الناس خاصة في أكثر المجتمعات البشريَّة المعاصرة أخذاً بأسباب التقدُّم العلمي والتقني".(١)

وهذا يوضح بدوره أنَّه على قدر ما توصلت إليه البشرية من معارف وعلوم خاصة في المجال العلمي التقني؛ علي قدر ما صاحب ذلك من بعد عن الدين وروح الإيمان بالله تعالى؛ وتجد ذلك بصورة واضحة في أكثر المجتمعات البشرية حظَّاً من هذا التقدُّم؛ وأنَّ هذه المجتمعات إذا ما قدِّم لها هذا الفهم العلمي للقرآن الكريم؛ فإنَّ هذا الأمر يعدُّ فتحاً ونصراً جديداً للإسلام بلغة العلم التجريبي بين هذا الأوساط التي قدَّست التقدُّم العلمي والتقني في شتي المجالات. وما تقدَّم بيانه يوجب على الدُّعاة اليوم حسن عرض الإسلام ونشر رسالته من خلال المنهج العلمي التجريبي الحديث؛ والإلمام بدقائق هذا المنهج والوقوف على الدراسات والمؤلفات العلمية الحديثة التي أثبتت حقيقة التوافق بين الإسلام والعلم الحديث؛ وأنَّ هذا العلم الحديث يدعو إلي الإيمان بالله تعالي ويؤكِّد صدق رسالة الإسلام في مصدريه الأساسيين القرآن الكريم والسنَّة النبويَّة؛ وأنَّ هذا العلم الحديث أثبت عملياً الإعجاز العلمي بشتَّي فروعه لهذين المصدرين الموحى بهما من عند الله تعالى؛ ومن هذه المؤلفات علي سبيل الذكر لا الحصر كتاب العلم يدعو إلي الإيمان تأليف كريسي موريسون(٢) وكتاب الله يتجلي في

---

(١) مقال بعنوان من أسرار القرآن، د. زغلول النجار صـ ١٢، جريدة الأهرام المصرية، بتاريخ ٢٠٠١/٥/١٤م.

(٢) هو كريسي موريسون، الرئيس السابق لأكاديمية العلوم بنيويورك ورئيس المعهد الأمريكي لمدينة نيويورك وعضو المجلس التنفيذي لمجلس البحوث القومي بالولايات المتحدة وزميل في المتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي وعضو مدي الحياة للمعهد الملكي البريطاني، أنظر كتاب العلم يدعو إلي الإيمان، كريسي موريسون، ترجمة: محمود صالح الفلكي، صـ ١٠، طبعة مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٥م.

عصر العلم تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين وكتاب التوراة والإنجيل والقرآن والعلم تأليف موريس بوكاي(١)؛ فما علي الدُّعاة اليوم سوي الإفادة من هذه المؤلفات وفق المنهج العلمي في نشر رسالة الإسلام بين أقطار العالم بروح العصر ولغة العلم الحديث.

ثانيا: إبراز الوجهة الحقيقة للإسلام:

إنَّ كثيراً من الدعاوي التي يتبناها دعاة الإلحاد والمادية اليوم حول الإسلام وحقائقه علي سبيل الحقد والكراهية للإسلام والمسلمين قديماً وحديثاً؛ بحاجة إلي كشف وجه الحقيقة حولها بما يبرز الوجهة الحقيقية للإسلام عقيدة وشريعة وأخلاق؛ وذلك من خلال الأدلَّة العلميَّة التي تقوم علي المنهج العلمي الحديث؛ وهذا ما فطن إليه نبيُّ الله نوح (عليه السلام) عندما سعي جاهداً في إبراز الوجهة الحقيقة لدعوته ورسالته بالدلائل الحسية في الأنفس والآفاق؛ فقد دعا لعقيدة التوحيد الخالصة بالمنهج الحسِّي وكذلك دعا إلي أحقِّية الله تعالي بالعبادة دون غيره بذات المنهج؛ بل لفت أنظارهم إلي قضيَّة في غاية الأهمِّية وهي التفكُّر في ملكوت السماوات والأرض، وقد ذكرت ذلك من قبل فيما مضي من البحث، فمن ركائز الأثر الدَّعوي لعرض موضوع الدعوة بالمنهج الحسي إبراز الوجهة الحقيقة الصادقة للإسلام مؤيدة بالعلم الحديث الذي تسلم بنتائجه البشريَّة اليوم وتعتمد عليه دون غيره.

---

(١) هو البروفيسور الفرنسي موريس بوكاي، ولد عام ١٩٢٠م وتوفي عام ١٩٩٨م، أجري دراسات وأبحاث علي مومياء فرعون مصر تأكد له فيها صدق القرآن الكريم، فدرس الكتاب المقدس واهتدي للإسلام فألف كتاب التوراة والإنجيل والقرآن والعلم. أنظر كتاب مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ محمد عبدالملك الزغبي صـ ٢٥٤ وما بعدها، طبعة دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية الطبعة، الأولي ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

فالإسلام المؤيَّد بالأدلَّة العلمية ليس هو دين الماديَّة أو الملذَّات والشَّهوات أو الدين المنغزل عن واقع الحياة أو الدين الذي يقوم علي السيف ويحض علي القوة والإرهاب؛ إنَّما هو الدين الحق الذي دعا للعلم واهتمَّ بالإنسان روحاً ومادة ودعا للتعارف والتآلف ونشر السَّلام في شتي ربوع الأرض واحترم مبدأ حرية المعتقد فلم يكره أحداً على اعتناقه قديماً أو حديثاً وعمل علي نشر الأمن والطمأنينة بين الإنسانيَّة كلها شرقاً وغرباً؛ والمنصفين من الغرب أنفسهم يشهدون بذلك عملياً من خلال منهجهم العلمي الحديث.

ثالثا: التأكيد علي صدق القرآن الكريم في إخباره عن الغيبيَات والحقائق الكونيَة:

من جوانب الأثر الدَّعوي الفعَّال في مجال عرض موضوع الدَّعوة بالمنهج الحسِّي من خلال سورة نوح (عليه السلام) التأكيد على مصداقية القرآن الكريم في مجال إخباره عن الغيبيَّات؛ خاصَّة في مجال الآيات الكونية المتعلِّقة بظواهر الآفاق الكونية المختلفة؛ فمن يسلك طريق المنهج التجريبي الحديث يتبيَّن له عملياً توافق القرآن الكريم مع نتائج العلم الحديث القائم علي المنهج العلمي وهذا التوافق لا يمكن أن يكون توافقاً عابراً أو دون سبب؛ إنَّما توافق يدلُّ دلالة قاطعة علي صدق كتاب الله تعالى المقروء مع الآفاق الكونية المنظورة؛ ولقد كان هذا التوافق عاملاً هاماً في اهتداء الكثيرين إلي الإسلام واقتناعهم به كدين سماوي صحيح من عند الله تعالي.

"إنَّ العلم التجريبي الحديث في محاولاته المتنوعة قد توصل إلى كشوفات واختراعات وحقائق لا تخفى على أحد، وإذا أمعنا النظر في كثير من هذه الحقائق، نجدها مطابقة لكثير من الآيات التي أشار إليها القرآن الكريم قبل خمسة عشر قرنا؛ وهذا يؤكِّد وعد الله في محكم كتابه أنَّ الناس سيرون آياته

الدالَّة على عظمته ووحدانيته وإبداعه في ملكوته، وأنَّ ما نشأ هذا اليوم من التطابق العجيب والتوافق المدهش للعقول بين النَّص القرآني وبين الحقائق والمكتشفات العلمية الحديثة الصحيحة الناتجة عن بحوث المتخصصين المتلاحقة في مختلف حقول المعرفة، لا يمكن أن يكون صدفة، بل يؤكِّد معجزة القرآن الخالدة وإعجازه المتجدد في كل زمان، ويكشف واقعيا وعمليا وتطبيقيا عن توافق حقائق الغيب الصحيح مع حقائق العلم الصحيح".(١)

وفي ضوء ما تقدَّم ذكره يتضح لكل ذي عقل مدي صدق القرآن الكريم في إخباره بالغيبيات والحقائق الكونية المشاهدة والمستجدة؛ فكلَّما تقدَّم العلم الحديث وكشف المنهج التجريبي عن أسرار وظواهر كونية حديثة؛ ثمَّ عرضها على القرآن الكريم يجد التوافق التام بينهما بما يؤكِّد أنَّ هذه حقيقة واضحة ليست مجرَّد صدفة؛ بل إنَّ علماء الغرب في هذا العصر يقفون عند إخبار القرآن الكريم بالمغيَّبات ثمَّ ينطلقون في البحث التجريبي؛ فيستدلُّوا عملياً علي صحَّة هذه الأخبار فمن يتخلَّص من هوى نفسه لا يجد إلَّا أن يشهد أنَّه الحق؛ وقد سجَّل التاريخ هذه الشهادات المنصفة مما يؤكِّد قيمة هذا الأثر الدعوي الهادف من خلال عرض موضوع الدعوة بالمنهج الحسِّي في دعوة نبيِّ الله نوح (عليه السلام) وعلي مرِّ الزمان.

(١) الضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم، د. راشد سعيد شهوان، كلية أصول الدين جامعة البلقاء، بحث علمي منشور في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثالث، العدد رقم ٢ عام ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

المبحث الثالث

موقف المدعوِّين من الدَّعوة في سورة نوح

رصدت سورة نوح (عليه السلام) بشكل تفصيلي موقف المدعوِّين من الدَّعوة؛ وذلك من خلال حركة نبيِّ الله نوح (عليه السلام) مع المدعوِّين بالدَّعوة، وردُّ فعل المدعوِّين مع نبيِّ الله نوح (عليه السلام) حالاً وحواراً وقبولاً وإعراضاً، وكشفت السورة الكريمة عن نوعية خاصة من الناس مكث فيهم نبيُّ الله نوح (عليه السلام) تسعمائة وخمسون عاماً ناصحاً وداعياً ومبشِّراً ومنذراً، فأبوا أن يقبلوا دعوته أو يستجيبوا لرسالته، وفي نهاية المطاف قرر القرآن الكريم حقيقة راسخة مفادها أنَّه لم يؤمن برسالته إلا قليل؛ جهد كبير بذله نبيُّ الله نوح (عليه السلام) وعمل متواصل ليل نهار؛ ومنهج حسِّي يوقظ الحواسّ وينبِّه الغافل من بينهم؛ لكنَّهم تبعوا أهواءهم وتمادوا في غيِّهم وضلالهم، وفي صفحات هذا المبحث أتناول بشيء من التفصيل موقف المدعوِّين من الدَّعوة في سورة نوح والله المستعان.

المطلب الأول
الإعراض عن قبول الدَّعوة

أعرض المدعوُّون من قوم نوح عن قبول الدَّعوة والإيمان برسالة نبيِّ الله نوح (عليه السلام) رغم دقَّة المنهج الحسِّي المستخدم معهم لدرجة أنَّ القرآن الكريم عبر عن إعراضهم عن قبول الدَّعوة بالفرار منها؛ وذلك في قوله تعالى: **(قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا)**(١)

يقول فضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوي (رحمه الله)(٢): "فلم يزدهم دعائي لهم إلي عبادتك وطاعتك إلا فراراً أي تباعداً من الإيمان وإعراضاً، والفرار

---

(١) سورة نوح الآيتان (٥ – ٦).

(٢) هو الإمام الأكبر الأستاذ الدكتور الشيخ: محمد سيد عطية طنطاوي مفتي الديار المصرية وشيخ الأزهر الشريف ولد عام ١٣٤٧هـ ١٩٢٨م بقرية سليم الشرقية محافظة سوهاج، وحفظ القرآن الكريم في الثالثة عشرة من عمره، والتحق بمعهد الإسكندرية الأزهري فحصل علي الشهادة الابتدائية والثانوية، ثم التحق بكلية أصول الدين وتخرج فيها عام ١٩٥٨م، ثم عين إماماً وخطيباً بوزارة الأوقاف، ثم واصل دراساته العليا في قسم التفسير والحديث مدة أربع سنوات، ثم حصل على شهادة الدكتوراه عام ١٩٦٦م، وانتدب للتدريس بجامعة البصرة بالعراق ١٩٦٨م، وكان قد صدر قرار تعيينه مدرساً بكلية أصول الدين بالقاهرة، فلما أنشأت كلية أصول الدين بأسيوط نقل إليها، وحصل على درجة أستاذ وعين عميداً لكلية أصول الدين بأسيوط، ثم عين عميداً لكلية الدراسات الإسلامية والعربية بالقاهرة، ثم مفتياً للديار المصرية عام ١٩٨٦م، ثم اختير شيخاً للأزهر عام ١٩٩٦م، من أبرز مؤلفاته التفسير الوسيط للقرآن الكريم وبنو إسرائيل في الكتاب والسنة وأدب الحوار في الإسلام وغيرها الكثير توفي عام ١٤٣١هـ ٢٠١٠م ودفن بالبقيع. أنظر كتاب جمهرة علماء الأزهر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين، د. أسامة السيد محمود الأزهري، جـ ٩ صـ ٧، طبعة مكتبة الاسكندرية، عام ١٤٤٠هـ ٢٠١٩م.

الزوغان والهروب وفيه دلالة واضحة علي إعراضهم التام عن دعوته، أي فلم يزدهم دائي شيئاً من الهدي، وإنما زادهم بعداً عني وفراراً مني، وإسناد الزيادة إلي الدعاء من باب الإسناد إلي السبب".([1])

وهذا الإعراض التام عن قبول الدعوة من جانب قوم نوح ليس نتيجة خلل في المنهج المتبع معهم؛ أو نتيجة تقصير من جانب نبيِّ الله نوح (عليه السلام) الذي مكث قرابة ألف عام كما تقدَّم دون يأس أو فتور في الدَّعوة؛ وكذلك ليس نتيجة خلل في أسلوب أو وسيلة دعوية؛ إنَّما نتيجة أنَّهم قوم قد شاع فيهم الكفر والضلال، وفشا فيهم الجحود والنكران، وتواصوا فيما بينهم بالتمسك بالباطل، واتباع هوى أنفسهم فاستحقوا ما نزل بهم في الدنيا من إغراقهم بالطوفان عن آخرهم فضلاً عما ينتظرهم في الآخرة من العذاب الأليم.

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، د. محمد سيد طنطاوي، جـ ١٥ صـ ١١٤، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الأولي ١٩٩٨م.

المطلب الثاني
تعطيل حواسّهم عن الإدراك أمام الدّعوة بالمنهج الحسّي

أمعن قوم نوح في عدم الإيمان والاستجابة لدعوة نبيِّ الله نوح (عليه السلام) وعدم التفاعل مع المنهج الحسِّي الذي سلكه نبيُّ الله نوح (عليه السلام) ليحرِّك حواسّهم كما تقدَّم؛ لدرجة أنَّهم تعمَّدوا أن يعطِّلوا حواسّهم عن العمل حتي لا يستجيبوا للدَّعوة مطلقاً، وتجد هذا الأمر واضحاً جليَّاً في قول الحق (عز وجل): **(وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا)**(١).

فهم يضعون أصابعهم في آذانهم حتي لا يسمعوا قوله فيستجيبوا له ويغطُّون وجوههم بثيابهم حتي لا يرونه إمعاناً منهم في تعطيل حواسّهم عن الإيمان.

"ترتبط الحواسّ الإنسانية بالقلب والعقل فبينهما علاقة وطيدة وصلة قوية ذلك أنَّ القلب هو ملك البدن كله؛ وأنَّ جميع الحواسّ تبع وخدم له وأنَّ كفر القلب والموانع التي تمنعه من الإيمان يؤثِّر حتماً علي عدم صلاح الجسد، وبالتالي فساد إدراك الحواسّ وخاصَّة حاسَّة السَّمع، ولقد حدثنا القرآن الكريم عن نبيِّ الله نوح (عليه السلام) مع قومه الذين كلما دعاهم إلي الإيمان أصرّوا على عنادهم؛ وجعلوا أصابعهم في آذانهم لئلا يسمعوه واستغشوا بثيابهم إظهاراً لشدَّة عداوته؛ وحتي لو سمعوه فإنَّ قلوبهم ترفضه وتمقته حدَّ الموت؛ لأنَّ بصيرتهم القلبية مطموسة لا يؤثر فيها نداء الإيمان؛ ومنها الأذن التي تتعطَّل عن أداء وظيفتها وكأنَّما هي معدومة مفقودة".(٢)

---

(١) سورة نوح الآية (٧).

(٢) الحواس الإنسانية في القرآن الكريم، د. محمد طالب مدلول، صـ ٤٢/٤٣، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

ومن خلال ما تقدَّم يتبيَّن أنَّ تعطيل عمل الحواسّ إنَّما هو مرتبط في المقام الأول بطمس البصيرة القلبية بالموانع التي تمنع وتحول دون الإيمان بالله تعالي؛ وذلك مثل الكبر والجحود والعناد وما إلي ذلك ممَّا يؤدي إلي فساد الجانب الإدراكي المعرفي لدى الحواسّ الإنسانيَّة؛ فترى العين تبصر المحسوسات لكنَّها لا تبصر الحقَّ ولا تنتفع به، وتري الأذن تسمع الكلام لكنها لا تسمع الحقّ ولا تنتفع به، وهو ما كان عليه قوم نوح (عليه السلام) فقد أدَّى بهم الإصرار والكبر والاستكبار إلي غياب بصيرتهم القلبية مما انعكس بدوره على تعطيل حواسّهم عن الإدراك والمعرفة، ولم يكتفوا بذلك بل عمدوا إلي غطاء مادي لحواسّهم فوضعوا أصابعهم في آذانهم وغطّوا وجوههم بثيابهم؛ فاجتمع لهم الغطاء المادي المحسوس والغطاء المعنوي في قلوبهم، فتعطّلت حواسّهم جملة وتفصيلاً عن العمل وأصرّوا علي هذا الصنيع واستكبروا عن قبول الحقّ والإذعان له.

ومن جانب آخر فقد عرض القرآن الكريم لقضية تعطّل حواسّ الكفّار أتمَّ عرض، وذلك في مواضع عديدة من آياته، فقد جعلهم القرآن الكريم في عداد الموتى نهائياً نتيجة تعطّل هذه الحواس عن النظر والفكر والاستجابة؛ وتجد ذلك واضحاً في قوله تعالى: **(إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)**(١)

يقول الإمام القرطبي (رحمه الله)(٢): "**(إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ)** أي سماع إصغاء وتفهّم وإرادة الحق، وهم المؤمنون الذين يقبلون ما يسمعون فينتفعون به

(١) سورة الأنفال الآية (٣٦).

(٢) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي الأندلسي، أبو عبد الله القرطبي من كبار المفسرين، محدث، صالح متعبد، من أهل قرطبة بالأندلس، ولد عام ٦٠٠ هـ في مدينة قرطبة رحل إلى المشرق واستقر بمنية ابن خصيب في شمالي=

ويعملون، قال معناه الحسن ومجاهد؛ ثمَّ قال: (وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ) وهم الكفَّار، عن الحسن ومجاهد، أي هم بمنزلة الموتى في أنَّهم لا يقبلون ولا يصغون إلى حجة".(١)

فقد سوَّى القرآن الكريم بين الموتي وبين الكفَّار الذين تعطَّلت حواسّهم، فكما أنَّ الموتي لا يسمعون سمع إصغاء وقبول فكذلك الكفار لا يسمعون سماع إصغاء وقبول؛ رغم أنَّ أسماعهم تستقبل الأصوات ولكنه استقبال لا فائدة من وراءه مطلقاً كما تستقبل الأنعام الأصوات من حولها دون بصيرة أو إدراك وفي هذا الشأن قوله تعالى: **(وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ)**(٢).

فهؤلاء الكفار من الجن والإنس لمّا لم تفقه قلوبهم ولم تبصر أعينهم ولم تسمع آذانهم استحقوا أن يكونوا مثل الأنعام في تعطّل حواسهم عن الإفادة والبصيرة؛ بل إنَّ حالهم أضل من حال الأنعام لما ينتظرهم من العذاب الأليم يوم القيامة؛ ثمَّ أضاف لهم علي ذلك أنَّهم من أهل الغفلة الذين غفلوا عن الحق وغفلوا عن البصيرة النافعة في الدنيا فقادتهم غفلتهم إلي الخسران المبين.

=أسيوط، بمصر، وتوفي فيها عام ٦٧١هـ. من مؤلفاته الجامع لأحكام القرآن والتذكرة في أحوال الموتي وأمور الآخرة. معجم المفسرين «من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر» عادل نويهض، جـ ٢ صـ ٤٧٩ مرجع سابق.

(١) الجامع لأحكام القرآن، للإمام: القرطبي جـ ٦ صـ ٤١٨، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

(٢) سورة الأعراف الآية (١٧٩).

المطلب الثالث
التواصي بالباطل في مواجهة دعوة الحق

عرضت السورة الكريمة لحال قوم نوح (عليه السلام) وهم يتعمَّدون أن يصرُّوا علي الكفر وعدم الإيمان من خلال تواصيهم فيما بينهم أن يتمسَّكوا بالباطل ولا يتركوه أبداً؛ في مواجهة دعوة الحق التي جاءهم بها نبيُّ الله نوح (عليه السلام) وذلك إمعاناً منهم في الغيِّ والضَّلال، وفي هذا الشأن قول الحق (عز وجل): **(وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا * وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا)**(١).

"**وقالوا:** لا تتركوا عبادة آلهتكم مطلقًا إلى عبادة رب نوح (عليه السلام) ولا تتركوا عبادة هؤلاءِ الأصنام المذكورة، وخصوها بالذكر مع اندراجها فيما سبق من النهي عن ترك عبادة الآلهة جميعًا لأَنَّها كانت أكبر معبوداتهم الباطلة وأعظمها، وإِن كانت متفاوتة في العظم حسب زعمهم، وعن ابن عبَّاس (رضي الله عنهما) قال: صارت الأَوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أَمَّا وَدّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأَمَّا سواع فكانت لهذيل، وأَمَّا يغوث فكانت لمراد ثمَّ لبني غطيف بالجرف عند سبأ، وأَمَّا يعوق فكانت لهمذان، وأَمَّا نسر فكانت لحمير لآل ذي كَلاع، وهي أَسماء رجال صالحين من قوم نوح (عليه السلام) فلمَّا هلكوا أَوحى الشيطان إِلى قومهم أَن انْصبُوا إِلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها انصبابا، وسموها بأَسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إِذا هلك أُولئك ونسخ العلم عُبدت".(٢)

---

(١) سورة نوح الآيتان (٢٣- ٢٤).

(٢) التفسير الوسيط للقرآن الكريم مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، جـ ١٠ صـ ١٦٠٣.

فهم لم يكتفوا بعدم استجابتهم لدعوة نبيِّ الله نوح (عليه السلام) بل قاموا بالتواصي فيما بينهم في ألَّا يتركوا عبادة آلهتهم مطلقاً مهما حدث من أجل أن يسود هذا التواصي وكأنَّه مبدأ تتعارف عليه الأجيال فيما بينهم في كيفية مواجهة دعوة الحق والصدّ عن سبيل الله تعالي.

وقد جمع وأفرد في الآية الكريمة في قوله تعالى: **(وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)** فقد جاء بالجمع في الآلهة أولاً ثمَّ فصَّلها وأفردها وذلك للتأكيد على هذا التواصي فيما بينهم في عدم تركهم عبادة هذه الآلهة مهما كلفهم هذا الأمر؛ كما جاء في قوله تعالي: **(كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ * أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ)**(١) فقد أكَّدوا فيما بينهم علي تواصيهم بالرد علي رسلهم بما جاءوهم به من عبادة الله وحده باتهامهم بالسحر والجنون إمعاناً منهم في الغيِّ والضَّلال.

(١) سورة الذاريات الآيتان (٥٢/٥٣).

المطلب الرابع
شدة قوم نوح وغلظة قلوبهم عن قبول الحق

لقد كشفت الفترة الزمنية الطويلة التي قضاها نبيُّ الله نوح (عليه السلام) بين قومه عن صفات سيئة لهم من الشدَّة والغلظة وقسوة قلوبهم والكبر والمكر والخديعة؛ ولقد أثبت القرآن الكريم لهم هذه الصفات في سورة نوح في قوله تعالى: **(وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا)**(١) وقوله (عز وجل): **(قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَنْ لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا * وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا)**(٢)

(وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا): "باتباعهم أي كبيرًا في الغاية، ويراد به احتيالهم في الدين، وصدّهم للناس عنه وإغراؤهم وتحريضهم على أَذِيَّة نوح (عليه السلام) ولهذا كان **(كُبَّارًا)** أبلغ من (كبير) وإذا اعتُبر التنوين في **(مَكْرًا)** للتفخيم زاد أمر المبالغة في مكرهم وفي عطف هذه الجملة على جملة الصلة وهي قوله تعالى: **(لَمْ يَزِدْهُ مَالُهُ...)** إشارة إلى أنَّهم ضموا إلي ضلالهم إضلال الأتباع في تسويلهم لهم بأنَّهم على الحق والهداية، وأنَّهم على شيء نافع".(٣)

وفي ضوء ذلك يتبيَّن ما كان عليه قوم نوح (عليه السلام) من شدّة وغلظة ومكر وخديعة واحتيال في الدين فهم لم يكتفوا بضلالهم أنفسهم بل عمدوا إلي إضلال غيرهم من الأتباع وصدهم عن دين الله تعالى وزعمهم أنَّهم علي طريق الحق والرشاد.

---

(١) سورة نوح الآية (٧).

(٢) سورة نوح الآيتان (٢١ – ٢٢).

(٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف، جـ ١٠ صـ ١٦٠٢.

المطلب الخامس
الأثر الدّعوي للدعوة بالمنهج الحسّي في المدعوّين

مما لا شك فيه أنَّ للدَّعوة بالمنهج الحسِّي أثراً دعوياً فعَّالاً في المدعوِّين قبولاً وتوفيقاً واستجابة للدَّعوة والدَّاعية؛ وأنَّ ما ذكرته في هذا المبحث من المواقف السلبية لقوم نوح لا تعني ضعف هذا الأثر بل تشير إلي صفات خاصّة ومواقف قاصرة في الفهم والاستيعاب؛ لا يمكن تعميمها علي الإطلاق خاصّة وأنَّ العصر الحديث هو عصر العلوم التجريبية كما تقدَّم؛ وأنَّ للمنهج العلمي الحديث بالغ الأثر في تحقيق القناعة اللازمة للعملية الدعوية، وذلك من خلال ما يلي:

أولا: إقامة الحجّة على المدعوّين:

يأتي علي رأس الآثار الهامة للدَّعوة بالمنهج الحسِّي إقامة الحجَّة اللازمة علي المدعوِّين وذلك من خلال الأدلَّة العمليَّة التي يقوم عليها المنهج الحسِّي التجريبي في ميدان الدَّعوة إلي الله تعالي؛ والتي من شأنها أن تثبت الحق بالحق وتدفع الباطل بالحق وتردُّ علي كل من يكابر عن قبول الحق ويتبع هوى نفسه دون أن يقدَّم أدلَّة علمية عملية؛ وهذه خاصية ثابتة للمنهج العلمي الحديث فهو يقوم علي اليقين لا علي الظن ويعتمد الحق لا الهوى وهذا مما يساعد بصورة عملية في إقامة الحجَّة العملية على المدعوين في ضرورة اتباعهم للحق وتركهم للباطل.

ثانيا: دعوة الماديين في هذا العصر:

كما تقدم من قبل فهناك من البشريَّة قطاعاً عريضاً يُعنى اليوم بالعلوم الماديَّة والحسيَّة التجريبية ويركِّز كل اهتماماته حول التجارب والأبحاث التي تجري على المادة؛ وهؤلاء من الأهمّية بمكان أن تقدَّم لهم الدعوة في صورة عملية من

اهتماماتهم وتطلعاتهم؛ ومن خلال المنهج العلمي الحديث يتمكَّن الدَّاعية من دعوة الماديين في هذا العصر دعوة تربط المادة بالروح والحس بالغيب حتي يتمكنوا من الإيمان بالله تعالي خالق المادة والروح؛ وحتي لا يفتنوا بالمادة وحدها فيضلوا بها بعيداً عن مراد الله تعالي في خلقه.

ثالثا: ضبط السلوك الأخلاقي:

تعيش البشريّة اليوم في أرقي عصور التقدم والعلم ورغم ذلك تلمس خللاً واضحاً في السلوك الأخلاقي بين كثير من أبنائها؛ ومن الأسباب المباشرة في هذا الشأن قيام الأخلاق في تصورهم على النفعية المادية وحدها؛ مما انعكس بدوره في انحراف السلوك الأخلاقي عن مسار الوحي الإلهي؛ فتلمس أنَّ هناك أزمة أخلاقية بين الناس؛ ومما يساعد في ضبط السلوك الأخلاقي بهدي الوحي السماوي الربط بين المادة والروح في الأخلاق الإنسانيَّة من خلال المنهج العلمي الحديث والذي من شأنه أن يضبط الأخلاق وفق تعاليم الوحي السَّماوي لا الهوي الأرضي.

الخَاتِمَة

وبها أهم النتائج والتوصيات

الحمد لله تعالى وحده الذي بنعمته تتمُّ الصالحات، وبفضله وكرمه ترفع الدرجات، وبمنه وجوده تنال العطايا والهبات، وبعد فقد أنعم الله تعالى علي بإتمام هذا البحث المتواضع، ولقد أبانت هذه الدراسة العلمية عن بعض النتائج أهمها ما يلي:

أولاً: أنَّ الله تعالى جعل أنبياءه ورسله (عليهم السلام) أسوة في كل شيء ومن ذلك الأسوة المنهجيَّة في دعوة نبيِّ الله نوح (عليه السلام) للدَّعاة إلى الله تعالى اليوم.

ثانياً: إجادة الدَّاعية إلى الله تعالى للمنهج الحسِّي في الدَّعوة من الأهمّية بمكان حتي يتمكَّن من الإفادة من المنهج العلمي الحديث في ميدان الدعوة إلى الله تعالى.

ثالثاً: أنَّ التنويع في الدَّعوة بين أوقاتها وأساليبها من الفقه الدَّعوي اللازم للدَّاعية في العصر الحديث.

رابعاً: أنَّ لفت حواسّ المدعوِّين للمشاهدات الكونية ركيزة هامة من ركائز إجادة الدَّاعية للدَّعوة بالمنهج الحسِّي.

خامساً: من فقه الدَّاعية إلى الله تعالى في إجادته للدَّعوة بالمنهج الحسِّي سوق البشارات الحسِّية العاجلة للمدعوين.

سادساً: تمكُّن الدَّاعية من إجادة المنهج الحسِّي يمكِّنه من معايشة واقع المدعوِّين المعاصر والدَّعوة في مجال العلوم الطبيعية العملية والتصدي لظاهرة الإلحاد في العصر الحاضر.

سابعاً: أنَّ نبيَّ الله نوح (عليه السلام) قام ببذل جهد كبير في عرض موضوع الدَّعوة بالمنهج الحسِّي وخاصَّة في الدَّعوة إلي عقيدة التوحيد وبيان أحقية الله تعالى بالعبادة.

ثامناً: أهمّية قضيَّة التفكّر في ملكوت السَّماوات والأرض في الدَّعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسِّي.

تاسعاً: حسن عرض موضوع الدَّعوة بالمنهج الحسي يؤدي إلي نشر رسالة الإسلام بين أقطار العالم وإبراز الوجهة الحقيقية للإسلام.

عاشراً: سوء صنيع قوم نوح في إعراضهم عن قبول الدعوة والإيمان بالله تعالى.

حادي عشر: أنَّ الكافر معطَّل الحواسّ عن الإدراك والاستجابة فحاله حال الميت.

ثاني عشر: أنَّ التواصي بالباطل في مواجهة دعوة الحق سبيل الكافرين قديماً وحديثاً.

أهم التوصيات التي أبانت عنها الدراسة:

أولاً: ضرورة الاهتمام بالدراسات المنهجيَّة الدَّعوية خاصة مناهج الأنبياء والرسل (ﷺ) في إعداد الدَّعاة إلى الله تعالى اليوم.

ثانياً: ضرورة التدريب العملي للدعاة اليوم في الإفادة من المنهج العلمي الحديث في ميدان الدَّعوة إلى الله تعالى والاهتمام بصقلهم بالدراسات العلمية الحديثة في هذا الشأن.

ثالثاً: العمل علي توفير الوسائل والأدوات العلمية الحديثة اللازمة للبحث العلمي خاصة في مجال الدراسات الإسلامية بما يعمل على تجديد الخطاب الديني في مواكبة العصر.

المَصَادِرُ وَالمَرَاجِعُ

١- **القرآن الكريم جلّ من أنزله.**

٢- **أبجديات البحث العلمي في العلوم الشرعية**، فريد الأنصاري، دار الفرقان، الدار البيضاء بالمغرب، الأولي ١٩٩٧م.

٣- **الأعلام للزركلي**، طبعة دار العلم للملايين، الخامسة عشر ٢٠٠٢م.

٤- **التحرير والتنوير**، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، طبعة الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

٥- **تفسير ابن كثير**، للإمام أبي الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي ١٤١٩هـ.

٦- **التفسير القرآني للقرآن**، د. عبدالكريم يونس الخطيب، طبعة دار الفكر العربي.

٧- **التفسير الوسيط**، د. وهبة الزحيلي، طبعة دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولي ١٤٢٢هـ.

٨- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، تأليف: مجموعة من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، طبعة الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الأولي ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

٩- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، للإمام الأكبر: د. محمد سيد طنطاوي، طبعة دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الأولي ١٩٩٨م.

١٠- **تفسير حدائق الروح والريحان في علوم القرآن**، محمد الأمين بن عبدالله الشافعي، مراجعة: د. هاشم محمد علي، طبعة دار طوق النجاة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولي ١٤٢١هـ ٢٠٠١م.

١١- **جامع البيان في تأويل آيات القرآن**، للإمام محمد بن جرير الطبري، تحقيق: د. أحمد محمد شاكر، طبعة مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولي ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.

١٢- **جمهرة علماء الأزهر في القرنين الرابع عشر والخامس عشر الهجريين**، د. أسامة السيد محمود الأزهري، طبعة مكتبة الاسكندرية، عام ١٤٤٠هـ ٢٠١٩م.

١٣- الجامع لأحكام القرآن للإمام القرطبي طبعة دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.

١٤- **الجواهر في تفسير القرآن الكريم**، طنطاوي جوهري، طبعة مطبعة مصطفي البابي الحلبي، ١٣٥١هـ.

١٥- **الحواس الإنسانية في القرآن الكريم**، د. محمد طالب مدلول، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

١٦- **الدعوة الإسلامية**، أ.د. أحمد غلوش، طبعة مؤسسة الرسالة، ٢٠٠٥م.

١٧- **الدلالات الصوتية للصفات العامة والصفات الخاصة في القرآن الكريم**، د. فراكيس امحمد، مقال في مجلة جيل الدراسات الأدبية والفكرية، العدد ٤٣ صـ ٣٣ بتاريخ ٢٠١٧/١١/١٥م.

١٨- **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، تحقيق: أحمد عبدالغفور، طبعة دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الرابعة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

١٩- **صحيح البخاري**، للإمام: محمد ابن إسماعيل البخاري، طبعة دار الحديث، القاهرة ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.

٢٠- **الضوابط الشرعية للاكتشافات العلمية الحديثة ودلالاتها في القرآن الكريم**، د. راشد سعيد شهوان، كلية أصول الدين، جامعة البلقاء، بحث علمي منشور في المجلة الأردنية في الدراسات الإسلامية، المجلد الثالث، العدد رقم ٢ عام ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

٢١- **العلم يدعو إلي الإيمان**، كريسي موريسون، ترجمة: محمود صالح الفلكي، طبعة مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٥م.

٢٢- **قصص الأنبياء**، للأمام: أبي الفداء إسماعيل ابن كثير، تحقيق: د. مصطفي عبدالواحد، طبعة مكتبة الطالب الجامعي، مكة المكرمة، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.

٢٣- لسان العرب محمد بن مكرم بن منظور طبعة دار صادر بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٤هـ.

٢٤- **مجلة البيان مقال بعنوان:** دلائل قدرة الله اختلاف الليل والنهار قاسم لاشين، بتاريخ ١٥ / ١٠ / ٢٠٠٥م.

٢٥- **مختار الصحاح**، للإمام الرازي، طبعة مكتبة، لبنان ١٩٨٦م.

٢٦- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، للإمام: ابن القيم، تحقيق: محمد المعتصم بالله البغدادي، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثالثة ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

٢٧- **المدخل إلي علم الدعوة**، دراسة منهجية شاملة لتاريخ الدعوة وأصولها ومناهجها وأساليبها ومشكلاتها في ضوء النقل والعقل، د. محمد أبو الفتح البيانوني، طبعة مؤسسة الرسالة.

٢٨- **المدخل لدراسة القرآن الكريم**، د. محمد محمد أبو شهبة، طبعة دار اللواء للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.

٢٩- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، أحمد بن محمد الفيومي، تحقيق: د. عبدالعظيم الشناوي، طبعة دار المعارف، الطبعة الثانية بدون.

٣٠- **معجم المفسرين من صدر الإسلام وحتى العصر الحاضر**، عادل نويهض، طبعة مؤسسة نويهض الثقافية للتأليف والترجمة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـ ١٩٨٨م.

٣١- **المعجم الوسيط**، لفيف من العلماء طبعة مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية ٢٠٠٤م.

٣٢- **معجم مقاييس اللغة**، لأبي الحسين أحمد بن فارس، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، طبعة دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ١٢٩٩هـ ١٩٧٩م.

٣٣- **مقال بعنوان من أسرار القرآن**، د. زغلول النجار، جريدة الأهرام المصرية، بتاريخ ١٤ / ٥ / ٢٠٠١م.

٣٤- **مائة من عظماء أمة الإسلام غيروا مجرى التاريخ**، محمد عبدالملك الزغبي، طبعة دار التقوى للطبع والنشر والتوزيع، القاهرة، جمهورية مصر العربية، الطبعة الأولي ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.

٣٥- **الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة**، تأليف: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، مراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، طبعة دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة ١٤٢٠هـ.

٣٦- **النكت في القرآن الكريم في معاني القرآن الكريم وإعرابه**، علي بن فَضَّال القيرواني، تحقيق: د. عبدالله عبدالقادر الطويل، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولي ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
الملخص باللغة العربية	٢٥٩
الملخص باللغة الإنجليزية	٢٦٠
المقدمة	٢٦١
التمهيد	٢٦٧
• **المطلب الأول:** التعريف بالدَّعوة إلى الله تعالى	٢٦٧
• **المطلب الثاني:** التعريف بالمنهج الحسِّي	٢٦٩
• **المطلب الثالث:** التعريف بسورة نوح	٢٧١
المبحث الأوّل: إجادة الدَّاعية إلى الله تعالى للمنهج الحسِّي في دعوته	٢٧٤
• **المطلب الأول:** التَّنويع في أوقات الدَّعوة بالمنهج الحسِّي	٢٧٦
• **المطلب الثاني:** الجهر والسِّرُّ في مخاطبة حواسّ المدعوِّين	٢٧٩
• **المطلب الثالث:** لفت حواسِّ المدعوِّين للمشاهدات الكونية	٢٨٢
• **المطلب الرابع:** سوق البشارات الحسِّيَّة العاجلة للمدعوِّين	٢٨٧
• **المطلب الخامس:** الأثر الدَّعوي لإجادة الدَّاعية للمنهج الحسِّي في دعوته	٢٨٩
المبحث الثاني: عرض موضوع الدَّعوة بالمنهج الحسِّي	٢٩٢
• **المطلب الأول:** الدَّعوة إلي عقيدة التوحيد بالمنهج الحسِّي	٢٩٣
• **المطلب الثاني:** بيان أحقِّيَّة الله تعالى بالعبادة	٢٩٥
• **المطلب الثالث:** الدَّعوة إلي التَّفكُّر في ملكوت السَّماوات	٢٩٨

والأرض	
• **المطلب الرابع:** بيان زيف المعبودات الأخرى من دون الله تعالى	٣٠٠
• **المطلب الخامس:** الأثر الدَّعوي في عرض موضوع الدَّعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسِّي	٣٠٢
المبحث الثالث: موقف المدعوِّين من الدَّعوة في سورة نوح	٣٠٧
• **المطلب الأول:** الإعراض عن قبول الدَّعوة	٣٠٨
المطلب الثاني: تعطيل حواسِّهم عن الإدراك أمام الدَّعوة بالمنهج الحسِّي	٣١٠
• **المطلب الثالث:** التواصي بالباطل في مواجهة دعوة الحق	٣١٣
• **المطلب الرابع:** شدَّة قوم نوح وغلظة قلوبهم عن قبول الحق	٣١٥
• **المطلب الخامس:** الأثر الدَّعوي للدعوة بالمنهج الحسِّي في المدعوِّين	٣١٦
الخاتمة	٣١٨
المصادر والمراجع	٣٢٠
فهرس الموضوعات	٣٢٣